الدين في فكر تولستوي

Religion in Tolstoy's Thought

د/ محمد لطفى صابر السيد

مدرس العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب

جامعة الوادي الجديد

ملخص البحث

يعد " ليو تولستوي " أحد أبرز الشخصيات الروسية في مجال الأدب والفكر، كما يعد مصلحًا دينيًا واجتماعيًا، وقد مثَّل تولستوي بفكره الديني نقطة تحول كبرى داخل المجتمع الروسي، حيث مثَّل موقف تولستوي من الكنيسة ورفضه للتعاليم والطقوس الكنسية جانب قبول لدى كثير من قراء تولستوي، ولعل حركة الإصلاح الديني التي ظهرت في أوروبا والتي عايشها تولستوي من خلال رحلاته الأوروبية ومطالعته لكتابات كبار مفكري المجتمع الأوروبي لها بالغ الأثر في تطلع تولستوي لحركة الإصلاح الديني داخل الكنيسة، وقد بدأ تولستوي رحلته الدينية في عصر مبكر، فكانت أول خطواته مع الدين هي النفور وترك تعاليم الكنيسة، والتي عاد إليها بعد رحلة طويلة من الشك، أدرك خلالها أن الإيمان الناتج عن تعاليم الدين هو المخرج الرئيس لحالة الشك والتخبط التي عاشها تولستوي في سن الخمسين من عمره. لكن تولستوي عاد هذه المرة إلى الكنيسة بفكر جديد، حيث تطلع إلى إصلاح ديني اعتمد على رفضه لتعاليم الكنيسة، ورفضة كافة النصوص التي تنسب إلى رجال الدين وليس هناك اتصال سند بينها وبين السيد المسيح، وكان نتاج ذلك هو تأسيس تولستوي لإنجيل جديد اعتمد على نصوص أربعة أناجيل فقط، بعد تنقية هذه الأناجيل من النصوص التي رأى فيها تولستوي مخالفتها لروح الدين المسيحي، وعرف هذا الانجيل باسم " إنجيل تولستوي". وقد انفتح تولستوي على الأديان الأخرى، فدرس الإسلام وتعاليمه بما يتوافق مع أفكاره ومعتقدات تولستوي التي آمن بها ودافع عنها.

الكلمات المفتاحية:

تولستوي ، الشك في فكر تولستوي، الإصلاح الديني عند تولستوي، موقف تولستوي من الدين، حركة تولستوي الإصلاحية في المسيحية، موقف تولستوي من تعاليم الدين المسيحي.

Keywords: Tolstoy, skepticism about Tolstoy's thought, Tolstoy's religious reform, Tolstoy's position on religion, Tolstoy's reform movement in Christianity, Tolstoy's position on Christian teachings

Research Summary Leo Tolstoy is considered one of the most prominent Russian figures in the field of literature and thought, as well as a religious and social reformer. With his religious thought, Tolstoy represented a major turning point in Russian society, as he represented Tolstoy's position on the church, and his rejection of church teachings and rituals, an aspect of acceptance by many of his readers. Tolstoy, and perhaps the religious reform movement, which appeared in Europe, and which Tolstoy experienced through his European travels and reading, of the writings of the great thinkers of European society had a great impact on Tolstoy's aspiration for the religious reform movement within the church, and Tolstoy began his religious journey, in an early age, was his first steps With religion is the aversion and abandonment of the teachings of the Church, which he returned to after a long journey of doubt, during which he realized that the faith resulting from the teachings of religion,, is the main way out of the state of doubt and confusion that Tolstoy experienced at the age of fifty, but Tolstoy returned this time to the church with a new thought, as he looked forward to religious reform, relied on his rejection of the teachings of the church, and the rejection of all texts attributed to the clergy and there is no support connection Between her and Jesus Christ, and the result of that was Tolstoy's founding of a new gospel that relied on the texts of only four gospels, after purifying these gospels from the texts in which Tolstoy saw their violation of the spirit of the Christian religion, and this gospel was known as "Tolstoy's Gospel" and Tolstoy opened up to other religions He studied Islam and its teachings, in accordance with his ideas and the beliefs of Tolstoy, who believed in and defended them.

مقدمة:

يوجد في كل فترة تاريخية بعض الكتاب والمفكرين الذين يتركون أثرًا بالغًا داخل مجتمعاتهم، عن طريق التأثير على الطبقة العامة التي تتابع فكر هذا المفكر وتتأثر به. وعند نقل هذا الفكر إلى حضارات أخرى يترك أثرًا أيضًا؛ نتيجة الأعمال التي حوتها السيرة الحياتية لهذا المفكر، ورغم مرور الزمن يظل نتاج الفكر مجالًا للبحث والحكم على رؤية هذا المفكر أو المصلح الديني، فالأعمال الكتابية وفهم جوانب حياته الاجتماعية خير حاكم على هذا الفكر وذاك الإنتاج. ويعد تولستوي أحد أهم الشخصيات التي أحدثت تأثيرًا وتغيرًا داخل المجتمع الروسي، وتأتي الأهمية الفكرية لتولستوي – مع أهمية الناحية الأدبية التي اشتهر بها – في الناحية الدينية، وأفكاره، ومعتقداته تجاه الأديان، فقد كانت الجانب الأكثر إثارة في حياة تولستوي الفكرية، حيث مثلت جرأة تولستوي الفكرية عاملًا مؤثرًا في المجتمع الروسي ونظرته للعقائد ولأديان، وتمثَّلت هذه الجرأة في الوقوف أمام التعاليم الكنسية، وسطوة رجال الدين، ونقده للكتاب المقدس، وقد كان لها بالغ الأثر في النظرة لفكر تولستوي. وعليه فسوف نتناول رؤية تولستوي الدينية من خلال الوقوف على نظرته للتعاليم الدينية المسيحية، وكيف توجه تولستوي لحركة إصلاح ديني أثرت على علاقته بالكنيسة، واتُّخذ ضده موقف صارم من رجال الكنيسة، كما أعطى مجالاً للحكم على تولستوي من بعض الكتاب بأن تولستوي صاحب نظرة إلحادية، وعليه سوف نتناول جوانب فكر تولستوي حول الدين؛ حتى يتسنى لنا الحكم على رؤيته.

اختيار الموضوع :

جاء اختيار الموضوع من ناحية النظرة الانفتاحية على الثقافات المختلفة، والتطلع لبحث الرؤى المختلفة التي تناولت الدين بالبحث والدراسة؛ حتى يتسنى لنا الوقوف على كافة الأنماط الفكرية داخل تلك المجتمعات، كما يمثل التوجه نحو المجتمع الروسي وبحث سبل الفكر والتطور الاعتقادي داخل هذا المجتمع جانبَ فهم جديد لرؤية تلك المجتمعات للشرق الإسلامي، ومكانته داخل تلك المجتمعات.

أهمية الموضوع:

تأتي أهمية الموضوع من ناحية شخصية البحث، فشخصية لها تأثير على الجانب الأدبي والفكري لدى كثير من رواد الأدب، سواء داخل المجتمع العربي أو الغربي، ودراسة الجانب الديني لدى شخصية لها تأثير كبير يفتح المجال أمام رواد الحركة الدينية لفهم الخلفية الفكرية لدى كثير من رواد الأدب؛ مما يسهل حالة التواصل الفكري، والحوار المجتمعي. كما تُعد حركة الإصلاح الديني في فكر تولستوي أمرًا في غاية الأهمية لمن يحاول رصد التطور العقدي داخل كافة المجتمعات. كما كان لموقف تولستوي المتسامح مع الأديان – خاصة الإسلام–

جانبًا مهما يستوجب إظهاره؛ نظرًا لحالة التشويه التي يتعرض لها الدين الإسلامي؛ مما يكون له بالغ الأثر في نفوس كثير ممن حكموا على الإسلام دون الإحاطة بتعاليمه.

إشكاليات الدراسة:

عند تناول البحث بالدراسة ظهرت عدة إشكالياتٍ حاول الباحث الإجابة عليها من خلال بحثه، منها: كيف نشأ موقف تولستوي تجاه تعاليم الكنيسة؟ وما العوامل المؤثرة في هذا الموقف؟ هل استطاع تولستوي من خلال شكه المنهجي أن يصل إلى اليقين؟ ما موقع الدين في فكر تولستوي؟ وهل يعد تولستوي ملحدًا كما وصفه بعض الناس؟ كيف كانت رؤية تولستوي للدين ومفهومه؟ كيف كانت نظرة تولستوي للديانات الأخرى؟ وما مدى توافق أفكار تولستوي مع تعاليم الإسلام؟ ... وغيرها من التساؤلات التي حاول الباحث أن يجيب عليها في ثنايا بحثه.

منهج البحث: اعتمد البحث على عدة مناهج منها:

المنهج التحليلي: حيث اعتمد الباحث على تحليل كافة الآراء التي جاءت من شخصية البحث؛ حتى يقف على يقين في مراد شخصية البحث، ويتسنى لنا فهم مدلولاته الفكرية.

المنهج المقارن: وقد استخدمه الباحث للمقارنة بين رؤى شخصية البحث وأفكاره وبين رؤىً أخرى؛ حتى يتمكن من الوقوف على جوانب القوة والضعف في رؤية شخصية البحث.

المنهج التاريخي: وفيه تناول الباحث الأحداث التاريخية التي كان لها دور فعال في رسم محددات جوانب الفكر لدى شخصية البحث.

المنهج النقدي: وبه تناول الباحث بالنقد كافة الأدلة والأصول التي اعتمد عليها شخصية البحث؛ حتى يستطيع استخلاص النتائج.

خطة البحث: ويتكون البحث من أربعة مباحث:

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية والفكرية

المبحث الثاني: رحلة تولستوي من الشك إلى الإيمان

المبحث الثالث: الإصلاح الديني في فكر تولستوي

المبحث الرابع: رؤية تولستوي للدين وموقفه من الإسلام

خاتمة: وبها أهم نتائج البحث

تقديم :

يمثل الدين أحد أهم المرتكزات الفكرية عند المفكرين والكتاب، سواء في الشرق أو الغرب، حيث يمثل الدين نقطة الانطلاق نحو فهم الحياة ومتطلباتها الدينية أو الدنيوية، وهو عصمة العقل في دروب تفكيره وتحركاته نحو الاستدلال ومحاولة الوصول للحقائق، فالعقل بلا دين لا يؤمَن منه الخطأ والزلل، وكلما تمسك العقل بالدين كانت نتائجه قريبة من الكمال المنشود المعتمد على جناحي الفكر، وهما: النقل، والعقل.

ويعد الشك في المعرفة، وطرق الوصول إليها أحد نقاط البدء التي انطلق منها كثير من المفكرين والفلاسفة، نحو اليقين أو المعرفة الحقيقية، حيث مثَّل الشك جانبًا مهمًا في أطوار الفكر التي أخذت تنموا وتتسع لدى هؤلاء المفكرين، فمنهم من اهتدي واستطاع الوصول إلى اليقين، ومنهم من ضلَّ الطريق بلا رجعة، وقد مثَّل الدين طريق الهداية والإرشاد في رحلة من اهتدى عبر طريقه الطويل في البحث عن اليقين.

وعلى مدار التاريخ ظهر من المفكرين من درس الأديان ووقف على أصولها وضروبها، وتعامل بشكل فيه إنصاف، فوصف الأديان وحدد مضمونها ومتطلباتها، وأبرز أهدافها دون إجحاف أو تشويه، مع كون هذا الدين أو ذاك مما لا يدين به هذا المفكر أو ذاك المستشرق، لكن ظلت الحيادية الفكرية والدراسة الموضوعية وضمير المفكر أو المستشرق هي الموجه والداعم له في طريق دراسته، وحيثيات حكمه على تلك الأديان وأهدافها التي حققتها داخل مجتمعاتها، وظلت المدرسة الروسية هي الأكثر اعتدالاً نحو توجهاتها في الدراسات الشرقية العربية، رغم أنها كانت متأخرة الظهور عن المدرسة الغربية، ولم تلق الاهتمام نفسه الذي حظيت به كتابات المدرسة الغربية في الأوساط الشرقية العربية الإسلامية .

هذا ويمثل تولستوي أحد أهم المفكرين والأدباء داخل المجتمع الروسي، حيث ترك أثرًا داخل العقول الروسية من خلال كتاباته الأدبية، وإسهاماته الفكرية التي أحدثت تحولًا عالميًا في مجال الأدب والفكر، كما كان لرؤيته الدينية نقطة تحول كبرى داخل المجتمع الروسي، حيث مثَّلت آراؤه تجاه الدين وطقوسه المفروضة من قبل الكنيسة على أتباع المسيحية ضجةً كبرى داخل المجتمع الروسي في حينه، كما مثَّل موقفه من الإسلام ونبيّه – صلى الله عليه وسلَّم – نقطة مضيئة، تمثل تجسيدًا لروح الإنصاف والحيادية الفكرية التي أبرزتها كتابات تولستوي. وعلى الرغم من كون تولستوي قد استهوى العقول من زاويته الأدبية، ودفع كثيرًا من الباحثين لتناول تلك الكتابات؛ نظرًا لما تحويه من أهمية فكرية مثَّلت طورًا مهمًا من أطوار الفكر والأدب الروسي، إلا أن زاويته الدينية

وأفكاره العقائدية مثَّلت محورًا مهمًا من محاور الفكر والاعتقاد داخل المجتمع الروسي لا يمكن إهماله، ويحتاج للعديد من الدراسات التي تستوجب كشف النقاب عن هذا الجانب المهم في شخصية تولستوي، وعليه فسوف نتناول رؤية تولستوي للدين وموقفه من الديانات في هذا البحث.

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية والفكرية:

تُمثل الحياة الاجتماعية والفكرية جانبًا مهمًا في حياة المفكر، حيث يتمكن الباحث من خلالها تحسس خطواته الأولى في استكشاف شخصية بحثه، وبيان جوانب حياتها. فالحياة الاجتماعية وتداخلاتها المختلفة تمثل الخلفية الفكرية التي يستقي منها المفكر دلالته العقائدية والدينية، كما تُمثل نقطة الانطلاق نحو التحولات الفكرية التي تطرأ على حياة المفكر نتيجة التغيرات التي تحدثها الحياة الاجتماعية في رؤية المفكر للمعطيات والنتائج التي توصل إليها في رحلة بحثه، وعليه فسوف نتناول في هذا المبحث جوانب الحياة الاجتماعية والفكرية في حياة تولستوي حيث تفتح لنا الطريق نحو شخصيته الدينية .

المطلب الأول: المولد والنشأة:

أولًا: النسب: على أرض قرية (ياسنايا بوليانا) في ولاية طولا من أعمال روسيا ظهر فجر حياة تولستوي، حيث مثّل القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مظاهر حياة المفكر الروسي، فقد ولد في الثامن والعشرين من شهر أغسطس عام ١٨٢٨ م.[١]

وتعود الأصول الأولى لأسرة تولستوي إلى الجزور الألمانية، حيث هاجرت أسرته في عهد "بطرس الأكبر"، واشتهر منها بطرس تولستوي الذي كان سفيرًا لروسيا لدى الدولة العثمانية، وأدخل في مصاف الأشراف عام ١٧٢٤م، وكان لهذه الأسرة منزلة رفيعة بين الأسر الروسية؛ إذ اشتهر كثير من أبنائها بالسياسة، ونبغ آخرون منهم في فن الكتابة."[٢] وعليه فإن الأصول الأولى لتولستوي ترتبط بأصول ألمانية، كما أن لعائلته تاريخًا طويلًا مع العمل السياسي والكتابي، وهذا ما يدعم التواصل الفكري الممتد عبر أجيال عائلة تولستوي، وقد كان أعظمه وأكثره انتشارًا على يد مفكرنا ليو تولستوي.

وأما عن والده نقولا تولستوي فهو " ابن إيليا بن أندراوس بن حنا بن الكونت بطرس تولستوي من أكبر معضدي القيصر بطرس الأكبر، ...وكان والده أحد معاوني قواد الجنود الروسية المحالين على المعاش. "[٣] ووالدته كانت هي الأخرى تنتمي إلى عائلة لها مكانتها في الأوساط الروسية، فهي " إحدى عائلة "فولكون" الشهيرة العريقة في الحسب، فهي ابنة الأمير نقولا سرجيوس."[٤] وعليه فإن تولستوي ينتمي إلى عائلة عريقة لها أصولها ومكانتها داخل المجتمع الروسي من ناحية أبيه ومن ناحية أمه.

وقد تُوفيت والدته في بداية نشأته، حيث توفيت عام **١٨٣٠م** قبل بلوغه العامين، وانتقل به والده إذ ذاك إلى مدينة موسكو، حيث عاجلته المنية عام **١٨٣٧م**، وكان ذلك قبل بلوغ "الكونت" العاشرة من عمره، فعهد بتربيته إلى سيدة أخرى من ذوات قرابته تدعى "بوشكوفا"، فعادت به إلى قرية "ياسنايا" مقر ولادته، وهناك تلقى دراسته الأولية على يد أساتذة نمساويين وفرنسيين[٥]

ثانيًا: تعليمه:

في ظل تولى بوشكوفا أمر تولستوي وفق وصاية والده قبل موته انتقلت به بعد ذلك إلى مدينة قازان عام ١٨٤١م، وفى سن الخامسة عشرة من عمره في عام ١٨٤٣ التحق تولستوي بجامعة قازان، وظل بين جدرانها لمدة عامين درس فيها العلوم الشرقية، وغيرها من العلوم العالية، ولكن تلك الحياة لم تلق قبولًا لدى تولستوي، حيث نفر من أخلاق تلاميذ الجامعة، ورحل على أثر شعوره هذا إلى بلدته الأولى مرة ثانية، وهناك أتم تنمية قدراته الفكرية بمطالعة كتب مشاهير المؤلفين والأدباء الروسيين والفرنسيين والألمان وهم: "روسو، وهيجو، وفولتير" ولكنه تعلق برسو وارتبط بمؤلفاته، فعلَّم نفسه بنفسه، وكتب لها طريق التطور، وفتح لها مدارك العقل والنبوغ الفكري[٦].

المطلب الثاني: نتاجه الفكري والاجتماعي

مرَّ تولستوي بمراحل مختلفة، وتطورات اجتماعية، خلقت منه كاتبًا محنّكًا، ومفكرًا مرموقًا، حيث مثَّل كل طور من أطوار الحياة اليومية التي تعايش معها تولستوي دافعًا ومحركًا لجانب معين من جوانب الفكر لديه، فأبدع في إنتاج جانب فكريٍّ حمل الكثير على قبول أفكاره، ومتابعة رؤيته الفكرية والخلقية.

أولًا: شبابه وبداية كتاباته:

استقر تولستوي في قرية (ياسانيا) مسقط رأسه قرابة ثمان سنوات منذ عودته من جامعة قازان، فتولى ميراث أبيه وقام عليه طوال تلك المدة، وفي عام ١٨٥١م زاره شقيقه الأكبر نقولا تولستوي الذي كان يعمل ضابطًا في جيش القوقاز، ومكث معه طوال إجازته العسكرية، وعند عودته إلى فرقته صحب ليو تولستوي معه، وهنا كانت نقطة بداية انطلاق الفكر التولستوي، والذي اعتلّ بجمال طبيعة تلك البلاد، فأثرت فيه مناظرها الطبيعية، وروى مخيلته بمائها العذب، وذرع بذور فكره في أرضها الخصبة، فأزهر رياحين علمه، فكتب رواية المهرب " نابيغ " التي أبدع فيها في وصف بلاد القوقاز ومعيشة أهلها، والتي أسهمت بطبيعتها الساحرة في تحفيز الجانب الإبداعي في فكر تولستوي، ثم أعقبها برواية " القوزاق" وصفهم فيها وصفًا لم يسبقه إليه أحد من الكتاب، ثم رواية "الفتوة والصبوة والشبيبة" تناول فيها وصف نفسه وأدوارها التي مرت بها، ثم توالت كتاباته المفيدة.[٧]

وفي سنة ١٨٥٣م مع ابتداء الحرب الشرقية انتقل تولستوي إلى صفوف جنود الطونان، وانضم إلى القائد الشهير "غورتشاكوف" واشترك في معركة سنة ١٨٥٥م، وأرسل معتمدًا إلى القيصر " نقولا " الأول حاملًا إليه أوامر سرية مهمة، ورغم تلك الأحداث وصعوبتها إلا أنها لم تمنع التدفق الفكري عند تولستوي، حيث كانت تلك الأحداث دافعًا لميلاد روايات جديدة على ساحة الفكر الروسي، حيث وضع رواية "سيفاستوبل"، ثم رواية " قطع الغابة"، ولعلَّ تلك الأحداث قد غلَّفت هذه الروايات وحكمت إطارها الفكري، ثم كان لتلك الأحداث الدامية بالغ الأثر في ترك تولستوي لحياته العسكرية، حيث استقال من الخدمة العسكرية عام ١٨٥٥م، وأصبح ناقمًا على الحروب مناهضًا كل من يدعوا إليها، معتبرها جريمة يقترفها بنو البشر، وأخذ يدعوا إلى السلم، ومع تلك اللحظة بدأت حياة أخرى، ومرحلة زمنية مغايرة في حياة تولستوي.[٨]

ثانيًا: أسرته وحياته:

بدأ تولستوي حياة استكشافيه، فأخذ في التنقل بين البلدان الأوربية، فسافر سنة ١٨٦٢ وساح في بعض أنحاء أوروبا، ثم عاد إلى قريته ليبدأ حياته الأسرية، فقد تزوج من الآنسة صوفيا كريمة الدكتور بيرس الألماني الذي اتخذ من مسكو مكانًا لإقامته، وهذا ما دفع تولستوي بمداولة السكنى بينها وبين قريته، وفى تلك الأوقات عينته الحكومة قاضيًا في قريته، فبدأ بدور اجتماعي جديد لم يقم به من قبل، وبدأ بنشر تعاليمه، ودعوة الناس إلى الفضيلة والسلام.[٩]

ثالثًا: دوره الاجتماعي داخل قريته:

أخذ تولستوي في نقل أفكاره ورؤيته للفضيلة لأبناء قريته، فأصدر مجلة تهذيبية أطلق عليها اسم بلدته، وقام فيها بنشر المقالات الأخلاقية، ودافعه في ذلك غرس الفضيلة في نفوس أهل قريته، وتثقيف عقول أبنائهم، ووجد أن المجلة التهذيبية لا تصبوا إلى ما يطمح إليه تولستوي، فأنشأ لأهل بلدته مدرسة وطنية، وتولى الانفاق عليها من ماله الخاص، وعلَّم فيها بنفسه أبناء الطبقة الفقيرة من الفلاحين وغيرهم، وبلغت شهرة تلك المدرسة مدىً واسعًا في جميع أنحاء روسيا، فجذبت إليها خريجي الجامعات من كلية "بطرسبرج"، فألقوا فيها الدروس دون مقابل بإشراف من تولستوي، ولعل دافعهم في ذلك هو القرب من تولستوي، ومحاولة الاقتباس من معارفه، فاجتمعوا حوله ونهلوا من فيض علمه.[١٠]

كما لعب دورًا اجتماعيًا مهمًا حاول من خلاله التوفيق في حل كافة الخلافات بين الفلاحين، من خلال رؤيته الثاقبة في مناقشة الأحداث ومتابعة مجرياتها، فحاول جاهدا إعادة السلام بين بنى قريته من الفلاحين،

وقضى على فكرة رفع القضايا نتيجة لوقوع تلك الخلافات، وهو دور اجتماعي لا يقل عن دوره في بناء العقول وتثقيفها داخل قريته.[١١]

رابعًا: نتاجه الفكري:

رحل تولستوي وترك نتاجًا أدبيًا وفكريًا زاخرًا بجوانب وإبداعات أدبية شهد لها الجميع، حيث مثلت كتابات تولستوي نقلة فكرية وأدبية استقى منها الرواد، ونهل منها القصاد، فارتووا منها شبعًا وريًّا، ومن تلك المؤلفات:

إنجيل تولستوي – اعترافات تولستوي – حكم النبي محمد – مملكة الرب بداخلك – الطفولة والصبا والشباب – رواية الحرب والسلام وكانت في عام ١٨٦٩م وهي من أشهر أعماله – مملكة جهنم والخمر – رواية " أنا كارنينا " – ورواية البعث – ورواية الحاج مراد – موت إيفان إيليتش . وغيرها من الأعمال الفكرية التي دلت على عقلية أدبية وفكرية لها ثقلها بين كُتَّاب ومفكري العالم على مدار تاريخه الطويل .

المطلب الثالث: قبول الرؤية الفكرية لتولستوي في الشرق الإسلامي:

لقي النتاج الفكري لرؤي تولستوي العقائدية والأخلاقية قبولًا لدى المشرق الإسلامي، ولعل ما يدعم ذلك رَدَّة الفعل التي نتجت عن مفكري وشعراء المشرق الإسلامي تجاه ما وصل إليهم وما ترجم من أعمال تولستوي، فكانت ردة الفعل هذه إيحاء بالقبول والرضا عن تلك الرؤى والمواقف التي اتخذها تولستوي في حياته الفكرية والعقائدية.

أولًا: رسالة الإمام محمد عبده إلى تولستوي:

ذاع صيت تولستوي في شتى البلدان وأخذت كتاباته طريقها لنفوس الناس، ومثَّلت أرائه قبلة لكل معتدل ومنصف لكل فكر حر بعيد عن الانتماءات والأيدولوجيات التي تغير وتبدل الاتجاهات عند بعض المفكرين، ومثلت رؤيته للأخلاق والفضيلة طريقًا للحيارى والتائهين، كما مثّل رأيه المعتدل تجاه الأديان الأخرى وخاصة الإسلام عاملَ جذب لمطالعة أفكاره، والوقوف على مدلولها ومرادها في إطار عدم الانحياز، والإنصاف، التي صاغتها كتابات تولستوي في تلك الجزئية، ولعل رسالة الإمام محمد عبده التي وجهها إلى تولستوي قد ترجمت تلك النقطة، وبينت أثر كتابات تولستوي عند مفكري الشرق الإسلامي.

وقد جاء في تلك الرسالة ما نصه " أيها الحكيم الجليل موسيو تولستوي: لم نحظ بمعرفة شخصك، ولكننا لم نحرم التعارف مع روحك، سطع علينا نور من أفكارك، وأشرقت في آفاقنا شموس من آرائك، ألفت بين نفوس العقلاء ونفسك، هداك الله إلى معرفة سر الفطرة التي فطر الناس عليها، ووقفك على الغاية التي هدى البشر

إليها، فأدركت أن الإنسان جاء إلى هذا الوجود لينبت بالعلم، ويثمر بالعمل ...ونظرت نظرة في الدين مزقت حجب التقليد، ووصلت بها إلى حقيقة التوحيد، ورفعت صوتك تدعو الناس إلى ما هداك الله إليه ... " [١٢]

وعلى هذا النص فقد رأي الإمام محمد عبده في أراء وأفكار تولستوي العقائدية والأخلاقية جانبًا حميدًا يستحق الثناء؛ لموافقة تلك الآراء لصحيح الأديان، وتلاحمها مع دعوة الأنبياء، وتحقيقها مقاصد الشريعة من خلال جانب عملي تطبيقي سعى تولستوي لنشره بين قومه، وانتقل بالتبعية من خلال كتاباته لمناطق واسعة من أنحاء المعمورة، فبادر الإمام بكتابة خطابه تعبيرًا عن مدى رضاه وتقبله لآراء تولستوي العقائدية والخلقية التي توافق صحيح الدين.

ثانيًا: رثاء أحمد شوقي وحافظ إبراهيم لتولستوي:

ومما يعزز فكرة قبول الشرق الإسلامي لأفكار تولستوي وعدَّها نوعًا من الإنصاف والاعتدال من مفكر روسي تجاه الإسلام ونبيه، وكذا حالة الأخلاق والفضيلة التي حاول تولستوي ترسيخها داخل المجتمع الروسي في وقت طغى فيه رأس المال والتملك، وطبقات الأسياد على شتي نواحي الحياة الاجتماعية والفكرية داخل المجتمع الغربي، حيث مثلت كتابات تولستوي وتعاليمه بصيص نور للخروج من هذا النفق المظلم، ولعل ما يدعم هذا هو الرثاء الذي قدَّمه شوقي بعد انتقال تولستوي من دار الفناء إلى دار البقاء، حيث قال:

(تولستوي) تجري آية العلم دمعها عليك ويبكي بائس وفقير

وشعب ضعيف الركن زال نصيره وما كل يوم للضعيف نصير

وجاء فيها ...

ويأسى عليك الدين إذ لك لبه وللخادميه الناقمين فشور

أيكفر بالإنجيل من تلك كتبه أناجيل منها منذر وبشير

كما رثاه حافظ إبراهيم فقال :

رثاك أمير الشعر في الشرق وانبرى لمدحك من كتاب مصر كبير

ولست أبالى حين أرثيك بعده إذا قبل عني قد رثاه صغير

فقد كنت عونًا للضعيف وإنني ضعيف وما لي في الحياة نصير

وجاء فيها ....

دعوت إلى عيسى فضجت كنائس وهز لها عرش وماد سرير

وقال أناس: إنه قول ملحد وقال أناس إنه لبشير

وعليه فإن قصائد الرثاء التي خرجت على لسان كبار شعراء المشرق الإسلامي لهي دليل على القبول الفكري لرؤى تولستوي حول الأخلاق والفضيلة، وكذا حالة الاعتدال التي ناقش فيها رؤيته للأديان السماوية وخاصة الإسلام منها، فخرجت أعمال تولستوي في مجملها معبرة عن رؤيا معتدلة منصفة بعيدة عن التحزب العقدي، والتوجه الفكري. وباءً على ما تقدَّم فإن الحياة الاجتماعية والفكرية لتولستوي كانت ذخيرة بمراحل وتطورات فكرية مثَّلت المحور الأهم لنتاجه الفكري، حيث وجد في كل مرحلة من تلك المراحل الدافع في نتاج لون معين من الأدب والفكر، كان معبرًا بشكل كبير عن الحياة التي عاشها تولستوي، كما ترجم هذا الفكر لجانب تطبيقي لفكرة الفضيلة والأخلاق حاول تولستوي نقله لبني قومه، فتعلقت به العقول كمصلحٍ اجتماعيٍّ ودينيٍّ له رؤية فكرية التفَّ حولها كثير من المتابعين له.

المبحث الثاني: رحلة تولستوي من الشك[١٣] إلى الإيمان:

مرت حياة تولستوي بمراحل مختلفة من أطوار الإيمان، ومحاولته الحثيثة للبحث عن الحقيقة، وقد ارتبط الإيمان بكيفية البحث ومصادر المعرفة التي اعتمد عليها تولستوي في أطوار بحثه، وظلت مسألة الإيمان تتقلب بين القوة والضعف وفق الأحداث والمؤثرات التي أحاطت بحياة تولستوي، وتعامل مع تلك الأطوار كحالة طبيعية من النمو والتطور الإيماني الذي يعيشه الرجل، وتعايش مع تلك الأفكار والمعتقدات حتى سنٍّ متقدم من حياته، حيث " حلت هذه الأزمة النفسية بتولستوي وهو في نحو الخمسين من عمره"[١٤] حينما أخذه التفكير في تلك المعطيات الحياتية، فوجد نفسه معبرًا عن حالة من الشك التي ارتابته في تلك الأطوار المختلفة، فنقلته من حالة إلى حالة أخرى بحثًا عن اليقين. ولعل الحالة الفكرية التي حلت بتولستوي في تلك الحقبة الزمنية المتقدمة من عمره، هي من سمحت له بتقييم تلك الرحلة الفكرية التي بدأت بالشك وانتهت به إلى الإيمان، " فلم يكن تولستوي من قبل شاكًّا، بل كان يعيش ظاهرًا وباطنًا عيشةً هادئةً حرةً "[١٥]، وقد مثّل كتابه " اعترافات تولستوي " وصفًا دقيقًا لتلك الرحلة وبدايته معها، حيث استطاع تحديد مشكلته في كل طور من أطوار تلك الرحلة، وقدم إليه نقده حتى استطاع الوقوف في نهاية المطاف على حقيقة الإيمان. وهنا نقف مع رحلة تولستوي مع الشك وكيف انتهى به المقام إلى الإيمان.

أولًا: الشك[١٦] في العقائد الدينية الموروثة:

تعد هذه المرحلة هي الحقبة الأولى في حياة تولستوي، وهي المرحلة التي بدأت مع التميز والإدراك التالي لمرحلة الطفولة والمنتهية مع بداية الشباب، وفي تلك المرحلة كان مصدر التلقي دينيًا معتمدًا علي نقول الآباء داخل الكنيسة، فهي مورثات دينية تنقل ويتلقاها المتلقي بالقبول والإيمان، يقول تولستوي: " قد تنصرت، وقبلت تهذيبي في الكنيسة الأرثوذكسية، وتعلَّمت إيمانها في طفولتي وصبوتي وشبابي."[١٧] ولكن هذا الإيمان لم يدم طويلًا في نفس تولستوي، فيقول: " بيد أنني لم أبلغ الثامنة عشرة من عمري حتى تركت الجامعة في السنة الثانية من دخولي إليها، وحررت نفسي من كل ضروب العبادة والإيمان التي تعلمتها."[١٨] وعليه فقد خرج تولستوي عن تلك التعاليم والموروثات العقدية التي تلقاها في بداية عمره، وعدَّ هذا العمل تحررًا من تلك العبادات، وكأنها قيود أحاطت بنفسه ظلّت محبوسة في داخلها حتى تحرر منها وهو ابن الثامنة عشر من عمره[١٩]، ولعل الوصف الذي أعطاه تولستوي عن تلك المرحلة الزمنية يعطي انطباعًا عن فكرة إيمان المقلد التي عاشها تولستوي في تلك الفترة، حيث كان يثق بإيمان الشيوخ أكثر من إيمانه بالمعتقدات نفسها، حتى إيمانه باعتقاد الشيوخ أنفسهم كان محل شك داخل نفس تولستوي، فيقول: " وإني بما لا أزال أذكره عن تلك الأيام أصرّح أني بالحقيقة لم أكن في ما مضي من عمري راغبًا في الإيمان بعقائد الكنيسة، ولكنني كنت أثق بالإيمان الذي يعتقد به الشيوخ من أنسبائي، ولكن هذه الثقة نفسها لم تكن راسخة في ذهني".[٢٠] وعليه فإن فكرة الشك الأولى أصابت تولستوي في وقت مبكر من حياته، ولعلها تأتي في مرحلة بداية الفكر وإعمال العقل، بيد أن تولستوي قد مرت عليه هذه المرحلة دون إدراك مفهوم الشك بمعناه الذي وقف عليه في سن الخمسين، حين أصابته حالة الإدراك الوجودي التي استطاع من خلالها تقييم تلك المراحل العمرية التي حلت على إيمانه.

هذا ويمكن عَدُّ تلك المرحلة حالة نفور من تعاليم الكنيسة أكثر من كونها شكًّا في تلك التعاليم، فحالة الشك تقتضي البحث عن الحقائق والوقوف على مدى صحة تلك التعاليم، والبحث عن بديل صحيح يستهوي العقل ويملأ فراغ النفس، وهذا مالم يحدث مع تولستوي في تلك المرحلة المبكرة من عمره، ومما يدعم هذا التوجه تعبير تولستوي نفسه عن تلك المرحلة، حيث قال: "وقد رافقني هذا النفور من الدين كما يرافقني الآن، وكان له في حياتي نفوذ فعال كما له في حياة جميع المولودين في المحيط نفسه الذي ولدت فيه والعائشين في بيئة كبيئتي".[٢١] وعليه فيمكن القول: إنها حالة نفور في حينها، ثم أدرك تولستوي حينما حاول توصيف حاله أنها شك في المورثات العقائدية والتعاليم الدينية، وهذه كانت أول أطوار تولستوي مع الإيمان، فكانت محاولة الخروج عن هذا الإطار المحدد التي رسمته الكنيسة في شكل عبادات وطقوس تنقل للمتلقي ويطلب منه الإيمان بها في شكل ظاهري، فيقول تولستوي: " ومع أن الفرد منا يعتقد أن إيمانه لا يزال راسخًا في أعماق قلبه فإن الإيمان لا أثر له

في حياته العملية".[٢٢] وعليه فإن حالة الإيمان الظاهري التي يتعلق بها المقلد سرعان ما تفشل في أول مواجهة حقيقية لها، يقول تولستوي:" وكلما تنازع المعتقد والحياة كانت السيادة للحياة؛ لأن قوة الأول لا تتعدى المظاهر الخارجية من كيانها".[٢٣] وعليه فإن تولستوي يصف الإشكالية في هشاشة المعتقد في نفس مقلد الإيمان الذي اعتمد على ظاهر الطقوس والعبادة دون مضمونها، فيقول: " يتعلم ابن المدرسة التعليم المسيحي، ويرسل إلى الكنيسة، وكل ما يطلب منه أنصار الطقس الظاهري في هذا العهد من حياته أن يظهر شهادة الكاهن بأنه اعترف، وتناول الأسرار المقدسة".[٢٤] ولذا يفشل هذا المعتقد في نفس المقلد عند كل مواجهة مع الحياة، حيث تطغي ضرورياتها على ضعف المعتقد في نفس المقلد.

لكن تلك الحالة التي وصفها تولستوي بالشك في المورثات الاعتقادية لم يكن سباقًا فيها، حيث وجدت في شك الغزالي.[٢٥] ولعل هذا ما يطلق عليه الشك المنهجي الذي أسس الغزالي قواعده ورسم خطواته الأولى في كتابه: (المنقذ من الضلال)، ثم سار على دربه فلاسفة النهضة الأوربية وكان على رأسهم ديكارت[٢٦] الذي استطاع التأسيس لبناء شك منهجي يقوم على أسس منهجية منطلقًا من فكرته الأولى: أنا أفكر فأنا إذن موجود، فشكه يطول كل شيء إلا كونه يفكر[٢٧]. كما عدَّ ديكارت مسألة الشك من ضروريات الحياة الإنسانية، فالإنسان يحتاج إلى الشك ولو مرة واحدة حتى يصل إلى اليقين، فيقول: " للفحص عن الحقيقة يحتاج الإنسان في حياته، أن يضع الأشياء جميعًا موضع الشك بقدر ما في الإمكان".[٢٨]

هذا ويعد الشك في التقاليد والعقائد الموروثة أحد أهم جوانب البناء الشكِّي عند الغزالي؛ لما لها من بالغ الأثر في تكوين البنية الفكرية لدى الإنسان، فهي الأفكار والمورثات التي تصاحب الإنسان طوال فترة زمنية ليست بالقليلة تبدأ معه منذ طفولته، وتزداد رسوخًا وتمكينًا في نفسه كلما طال بها الزمان، ويعد الغزالي أن من استطاع الانفلات من أسر التقاليد فقد انغمس في نعمة عظيمة من الله تستوجب شكرها، فيقول: " وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري وريعان عمري غريزةً وفطرةً من الله وضعها في جبلتي لا باختياري وحيلتي، وحتى انحلت عني رابطة التقليد، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا".[٢٩] ولعل فكرة التقليد الأعمى دون الوقوف على أصل تلك الموروثات وبيان مدلول تلك المعتقدات كانت هي محور الشك في تلك المرحلة عند الغزالي، حيث وجد في المورثات التي تتبناها الفرق الإسلامية وتدافع عنها دون الوقوف على حقيقة تلك المورثات أمر يحتاج إلى إعادة صياغتها عن طريق صهرها ليذهب خبثها ويبقى صحيحها، فيستخلص منه الحق دون سواه، فيقول: " ولم أزل في عنفوان شبابي – منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين – أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجَسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة؛ لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع ..."[٣٠] وعليه فإن الغزالي قد انطلق

للوصول إلى اليقين عن طريق البحث في الموروثات التي تمسكت بها كل فرقة من الفرق محللًا تلك الموروثات العقائدية؛ للوقوف على صحيحها من مبتدعها، كل ذلك عن طريق الشك في تلك الموروثات وإخضاعها للفحص حتى يصل إلى اليقين؛ ولذا يقول: " من نبض عليه عرق من عروق التقليد فلا يصح لصحبتي "[٣١].

وعلى هذا كله فقد انطلق كل من تولستوي والغزالي في مراحل العمر الأولى من خلال الشك في المعتقدات والموروثات، لكن اختلف شك الغزالي عن شك تولستوي، فالغزالي انطلق من نقطة الإيمان باحثًا في الفرق والمذاهب، مدققًا في موروثاتها، ناظرًا حول صحة معتقداتها؛ حتى يتمكن من الوصول إلى اليقين. لكن تولستوي فرضت عليه تلك التقاليد والموروثات العقائدية فامتثل لها مع عدم اطمئنان قلبه إليها، فنفر منها ولم يرتضها، ولم يستطع التعبير عن تلك الحالة إلا في مرحلة عمرية متأخرة، فيقول: " وأدركت في أعماقي عدم إيماني، فقد انقطعت عن الصلاة وأنا في السادسة عشر من العمر، وتحولت عن حضور الاحتفالات الكنسية ... قد طرحت عني الإيمان الذي تعلمته في صباي وما برحت أؤمن بشيء."[٣٢] ولذا يمكن اعتبار شك تولستوي من باب عدم الاطمئنان والنفور من المعتقدات الدينية التي تصحب بعض الناس في تلك المرحلة العمرية، حيث لم يحاول تولستوي البحث عن البدائل لتلك المعتقدات التي وجد فيها عدم قبول حتى يصل إلى مرحلة اليقين النفسي والاطمئنان للمعتقدات والموروثات، فقد اكتفي بالنفور وعدم القبول . كما يمكن عدُّ هذا التوجه سمة سائدة في هذا العصر وخاصة داخل المجتمع الأوروبي الذي كان تولستوي شديد التعلق به حيث " تخلص العقل من نفوذ الكنيسة وآبائها، ومن سلطة اللاهوت والإيمان الديني الساذج ..."[٣٣]

لكن على الرغم من ذلك ظلت فكرة الإيمان الأعم داخل نفس تولستوي، فلم يأخذه هذا النفور من المعتقدات إلى مرحلة الإلحاد، بل ظلت فكرة الايمان بوجود إله تسيطر عليه، فيقول: " قد آمنت بإله، أو بالأحرى لم أنكر وجود إله، ولكن لم أقدر أن أوضح شيئاً عن هذا الإله الذي لم أنكر وجوده."[٣٤] وحالة الشك التي ارتابت تولستوي قريبة من شك القديس أوغسطين[٣٥] الذي أصابته حالة من الشك لكنها لم ترتق إلى فكرة الهدم التام للمعتقد " فقد عانى أوغسطين حالة من الشك المذهبي، حيث إن أوغسطين لم يشك أبدًا في لحظة من اللحظات في وجود الله، وكان همه الرئيس دائمًا هو البحث عن الحقيقة التي كان يؤمن أنها مصدر السعادة والطمأنينة، وقد كرَّس أوغسطين أول حواراته دفاعًا عن إمكانية التوصل للمعرفة."[٣٦] وعليه فإن ثمة تقارب بين شك تولستوي وشك أوغسطين في مسألة الإيمان بوجود الله لكن البحث عن اليقين والوصول إلى الإيمان هو ما كان يشغلهم. وعليه فإن تولستوي قد ضل الطريق في الوصول إلى حقيقة الإله، أو لم يجد من التعاليم والمعتقدات التي تشبع الروح والعقل وتهديه إلى طريق اليقين، فيقول: " إنني لم أنكر المسيح ولم أجحد تعاليمه، ولكن الحقيقة التي تدور عليها هذه التعاليم لم أعرف عنها شيئاً".[٣٧] والحق أننا نعتقد أن تلك الحالة التي عبَّر عنها تولستوي في هذا النص كانت إدراكًا متأخرًا ووصفًا لحالة مر بها تولستوي ولم يستطع إدراكها إلا بعد فترة زمنية ليست بالقليلة، لكن في

حينها نستطيع أن نقول: إنها تحرر من القيود الكنسية التي فرضت في تلك الفترة، ولم تستطع إقناع الجانب الوجداني لدى تولستوي، حيث وجد نفسه أمام معتقدات وعبادات لم تستطع أن تغذي الروح وتقنع العقل، فنفر منها تولستوي واضعًا عن عاتقه إيمان المقلد الذي أُحيط به وبأقرانه في تلك الفترة، متحولًا إلى حياة مادية بعيدة كل البعد عن حياته الإيمانية التي بدأت معه منذ صباه .

ثانيًا: طريق تولستوي للبحث عن حقيقة الحياة:

مرحلة جديدة في حياة تولستوي تختلف عن مرحلته السابقة، حيث تغيرت وجهة تولستوي كليًّا عن ذي قبل، فمع نفوره من المعتقد الديني تحول للبحث عن الحياة وحقيقتها، وطريقه فيها معتمد على تجربة معطياته الفكرية التي يعتقد أنها توصله إلى حقيقة الحياة .

حيث اعتقد تولستوي أن بلوغ الكمال هو هدف الحياة ومرادها، ففيه تهدأ الروح ويستكين العقل، فحاول الوصول إلى الكمال، واتخذه قبلته وعقيدته، فيقول: " عندما أفكر في ذلك العهد أرى أن كل الإيمان الذي كان لي وكان له التأثير النافذ في حياتي كان ينحصر في عقيدتي بإمكانية البلوغ إلى الكمال الذي لم أكن أعرف شيئًا عن حقيقته أو نتائجه"[٣٨] وعلى هذا فإن تولستوي في تلك المرحلة قد اعتقد بالكمال، ووجد فيه ضالته، لكنه لم يستطع أن يدرك مراده من هذا الكمال، هل هو الكمال المادي والمعنوي أم الكمال الروحي والخلقي؟ فأخذ يتحسس المعطيات الحياتية والاجتماعية المحيطة به لعله يصل إلى حقيقة الكمال. فكانت أولى خطواته هي الوصول إلى الكمال الفكري، حيث اعتقد بأنه من أعظم الوسائل التي تأخذ بيده نحو الكمال المنشود، فيقول: " قد جربت الوصول إلى الكمال الفكري ودرست كل ما بلغت إليه قوتي من مواضيع الحياة، وجاهدت طويلًا لإنماء قوة إرادتي، واضعًا لنفسي قواعد للعمل بها بدقة وصرامة ... وعوّدت نفسي على الصبر واحتمال المشقات والآلام الاختيارية، وكنت أنظر إلى جميع ذلك نظرتي إلى أعظم وسائل البلوغ إلى الكمال المنشود".[٣٩] ولعل تولستوي في تلك المرحلة كان يستهويه الكمال الشكلي الذي يعتمد في الأساس على نظرة المجتمع إلى الفرد ومدى رضاء الناس عنه، فهو كمال ظاهري يعتمد على الشكل الخارجي مع إهماله للكمال الروحي الذي يأخذ صاحبه إلى الراحة والاطمئنان، وهذا ما أدركه تولستوي بعد ذلك حيث وصف هذا النوع من الكمال بالكمال الأدنى، وهو أقل درجات الكمال وأضعفه في تحقيق مراد النفس ويقين العقل، فيقول: "وفي بداءة عملي كنت أعتقد أن الكمال الأدنى هو غايتي الرئيسية، ولكنني لم ألبث أن وجدت نفسي ساعيًا وراء الكمال العام في جميع الأعمال."[٤٠] وعليه فقد تحولت وجهة تولستوي في بحثه عن الكمال نحو كمال عام ينشد الوصول إلى القمة في كل الأعمال، لكن على الرغم من ذلك ظل كمال تولستوي الذي ينشده كمالًا أجوف بعيدًا عن روح الإيمان، وهو كمال تظل فيه الروح مشتتة حائرة بعيدة عن اليقين، وهذا ما عبر عنه تولستوي بقوله: " إنني لم أرغب في الكمال أمام نفسي أو أمام الله، بل بالكمال أمام

جميع الناس."[٤١] ولعل هذا كان السبب في تخبط تولستوي في الحياة المادية، وبعده عن الجانب الروحي، " فرغبته في الشهرة كانت تقضي على كل صلاح في فكره"[٤٢] فقد جرد الروح من أسمي أمانيها وهو الإيمان الذي يربطها بأصلها الذي نشأت منه، فالصلة بالله والارتباط به يخلق للروح عالمًا مماثلًا لما خلقت منه، فيهبها اليقين الذي يحيط الروح بالاطمئنان والهدوء. وعلى هذا فقد اتجه تولستوي نحو الحياة المادية محاولًا الاستفادة منها باحثًا عن جانب متعته منها، ولعل هذا كان ناتجًا لفكرة الكمال الأدنى الذي كان يلتمسه تولستوي في أعين الناس، فيقول: " ولكن هذا الشعور بمحبة الكمال في عيون جميع الناس لم يمضِ عليه ردح حتى تحول إلى رغبة في الحصول على قوة ليس للناس مثلها، والبلوغ إلى أقصى ما يكون من الشهرة والثروة والمجد."[٤٣] ولعل هذا كان تطورًا للفكر المادي الذي سعى إليه تولستوي منذ بحثه عن الكمال. الفكرة المشوشة عند تولستوي وبعده عن الجانب الإيماني الروحي دفعته دفعًا نحو الحياة المادية التي استهوته بسلطانها وزخارفها، فسيطرت الحياة المادية على قلبه وطغت على بواقي الايمان داخل قلبه، وساعده في ذلك تلك الحياة المطرفة التي كانت تحيط به، فيقول: " فقد رغبت من أعماق قلبي في أن أكون صالحًا. ولكنني كنت صغيرًا، وكانت لي أهوائي الجامحة، وكنت وحيدًا منفردًا في تفتيشي عن الصلاح."[٤٤] وعلى هذا فإن فهم تولستوي لحقيقة الكمال كان مشوشًا ومحاطًا بجانب مادي جعل مدركاته للقيم والأخلاق مشوشةً بالتبعية، ولذا يقول: " كانت أسمي مراتب الأخلاق الصالحة في عقيدتي منحصرة في الطموح، ومحبة القوة، والحصول على الربح، والكبرياء والغرور، والغضب والانتقام".[٤٥] ولعل هذا ما رسم ملامح الفكر عند تولستوي وانعكس بدوره على أعماله الأدبية، " فكان تولستوي أول الأمر لا يفكر إلا في هذه الحياة الدنيا، ولا يمتد بصره إلى ما وراء الواقع المحسوس" [٤٦]وعلى هذا فيمكن القول أن حالة النفور والتحرر من التعاليم الكنسية التي سعي إليها تولستوي منذ طفولته طرحته على جانب مغاير لذلك، فتلبَّس بالحياة المادية التي غيرت رؤيته تجاه الأشياء حتى جعلت من الفضائل والأخلاق حياة نفعية محاطة بلذة زائلةلم يدركها تولستوي في حينها، لكنه استطاع التعبير عنها بعد ذلك واصفًا إياها بوصف يعبر عن استياء من تلك الفترة، فيقول: " قد قتلت الكثير في الحرب، وبارزت الكثيرين لأفقدهم حياتهم وخسرت أموالًا كثيرة بالمقامرة، وأنفقت الأموال الكثيرة التي وصلت إليَّ بأعراق الفلاحين... ولم أترك سبيلًا من سبل الفسق والدعارة إلا سلكته".[٤٧] ولعل الحياة المادية التي أحاطت بقلب تولستوي لم تمكنه من إدراك الجانب المظلم من تلك الأفعال في حينها، فكان يعتقد بسمو تلك الأخلاق وعلو مكانتها نظرًا لما كان يجنيه من ثمارها في أعين الناس، وبالتبعية فقد تغيرت الأهداف التي سعي إليها من وراء تلك الأفعال، فكانت أهدافًا مادية نفعية، فيقول: " وفي هذه المدة بدأت بالكتابة التي لم يحملني عليها سوى غروري، ومحبتي للربح، والشهرة الكاذبة ... كنت أرى نفسي مضطرًا أن أخفي الصالح وأظهر الشرير في كل ما أكتبه. هكذا فعلت. وطالما قضيت الليالي أحارب أفكاري؛ لأخفي ما فيها من الطموح إلى الأكمل والأفضل الذي كان بالحقيقة ضالة أحلامي الحقيقية."[٤٨] وعليه فيمكن القول: إن تلك الفترة مثَّلت الجانب المادي

النفعي في حياة تولستوي، ذلك الجانب الذي بدَّل مفهوم القيم والأخلاق لديه، وتحولت مع تلك الحقبة وجهة تولستوي الاعتقادية من نفور وتحرر من المعتقدات الدينية إلى النفعية الحسية التي تهدف إلى نتائج حسية ملموسة، سواء على الصعيد الشخصي أو الاجتماعي، " فلم يجنح يوماً إلى البحث الديني الخالص، ولم يفكر قط لمجرد التفكير، وإنما كان يعنى في فنه قبل كل شيء بعناصر الحياة الملموسة القريبة، لا بمعانيها الغامضة البعيدة"[٤٩].

هذا وقد ظل تولستوي على هذه الحالة فترة زمنية ليست بالقلية، ثم فتحت له رحلاته وجولاته بين البلدان الأوربية آفاقًا جديدة نحو رؤيته إلى الحياة وحقيقتها، لكنها لم تختلف كثيرًا عن تلك النظرة المادية التي حطت بركابها على فكر تولستوي في حقبته السابقة، حيث مثلت تلك الفترة الجديدة لونًا آخر من ألوان المادية الجوفاء البعيدة كل البعد عن الإيمان الروحي، لكنها صبغت بصبغة جديدة استهوت تولستوي وفقًا لأهداف ومعطيات جديدة، فيقول: "وعندما بلغت السادسة والعشرين من العمر ذهبت إلى بطرسبورغ في نهاية الحرب، وهناك تعرفت بكبار المنشئين والكتاب في تلك الأيام "[٥٠] وعليه فإن تجول تولستوي واختلاطه بلون جديد من أوان الكتابة والأفكار فتح له نافذة جديدة نحو المادية النفعية نقلت عليه بالاختلاط والمجاورة، فيقول: " وقبل أن أجد لنفسي فرصة لدرس المحيط الذي جئت إليه وجدت أن عادات الكتاب وأطوارهم في تلك المدينة قد لزمتني، وصارت جزءًا من حياتي، وقضت قضاءً مبرمًا على كل آمالي وجهادي في سبيل الكمال في الحياة"[٥١]. ولعل التطور الذي لحق بفكر تولستوي في طريقه للبحث عن الحياة قد تحول لمرحلة أشد خطورة وتعقيدًا نحو المادية المطرفة البعيدة عن الإيمان الروحي، فعلى الرغم من كون المرحلة السابقة أشد وضحًا في كيفية الاستفادة من المادية النفعية التي ترجمتها أفعال تولستوي، إلا أن تلك المرحلة كانت أشد تعقيدًا وسعيًا نحو مادية جوفاء تبعد كل البعد عن فكرة الإيمان، حيث تحول الإيمان إلى الإيمان بالنفس وكبرياء الذات الذي تمثل في تمحور الحياة حول التطور الناشئ فيها، والذي يمثل نقطة الانطلاق فيه هم المفكرون و الكتاب الذين يصبغون أفكار الناس بصبغة حددها المفكر أو الكاتب دون إدراك حقيقتها، فيقول: " وكانت لرفقائي الكتاب في ذلك العهد نظرية في الحياة خلاصتها: أن الحياة نشوء لا حد لتطوراته، وأن القوة الفعالة في أحداث هذه التطورات مستمدة منا نحن المفكرين... لذلك ينحصر واجبنا في الحياة كمفكرين فنانين وشعراء أن نعلم الناس، ونصبغ أفكارهم بصبغة أفكارنا"[٥٢] وعلى هذا فإن جوانب المعرفة التي تنقل إلى الناس دون تحديد مصدرها الحقيقي وعرضها على العقل ومدى قبوله بها كان علامة مميزة لهذه المرحلة، فالتمحور حول الذات لدى المفكر وكونها المحددة للأفكار والمعتقدات كان هو الدارج في حقبة تولستوي الثالثة، فيقول: " كتبت وعلمت مالم تكن لي أقل معرفة به، ولكنني كنت أقبض أجرة على عملي "[٥٣]. وعليه فهي استمرار للحياة المادية النفعية ولكن بشكل ولون جديدين، لكن بطبيعة الحال ولكون الحياة المادية البعيدة عن الإيمان الروحي تدفع صاحبها نحو التردي والتدني الروحي، فتخلق لديه حالة من الريبة والشك

يقول تولستوي: " بدأت أشك في عصمة هذه العقيدة فعمدت أفحصها وأدرسها بأوفر دقة وفطنة"[٥٤] ولعل حالة الشك التي ارتابت تولستوي جعلته يدقق بحثه حول رجال تلك المرحلة التي استمد منهم نظريتهم حول الحياة وتطورها، ثم خلص تولستوي إلى قوله: " فثبت لدى بعد الدرس الطويل أن الأكثرية الساحقة بينهم رجال أردياء لا قيمة لأعمالهم، ولا صلاح في حياتهم ".[٥٥] ولعل هذا البحث الدقيق قام به تولستوي حول تلك المرحلة قاده للحديث لأول مرة للربط بين قيمة الفعل وناتجه التي تقود بالتبعية إلى مسألة الصلاح والفلاح في الدنيا، وهو ما يرسم حياة الفرد بعد ذلك، وهو مبدأ إيماني يربط بين قيمة العمل والأثر الناتج لهذه القيمة، ولعلها كانت بداية للمحة إيمانية تهفو نسماتها داخل نفس تولستوي فيقول: " حينئذ يئست من الإنسانية ومن نفسي، وأدركت أن ذلك الإيمان – يقصد الإيمان بنشوء الحياة وتطورها – لم يكن إلا وهمًا عميقًا"[٥٦] ولعل هذا البدايات الأولى لانطلاق تولستوي من مرحلة التمحور حول الذات والتعلق بالدنيا وماديتها، إلى مرحلة البحث عن الهدف من الحياة والتحول للربط بين الحياة الأولى والثانية لدى البشر .

لكن على الرغم من ذلك لم يستطع تولستوي الوصول إلى اليقين وفهم حقيقة الحياة، بل ظلت الأحداث والمجريات الاجتماعية تطرح عليه معطيات جديدة في طريق استكشافه لمفهوم الحياة وإدراك حقيقتها، وفي هذه المرة كانت قبلة تولستوي نحو المدنية والتقدم كأحد الوسائل لتحقيق الكمال العام الذي ينشده هي خطواته الجديدة في طريق بحثه عن حقيقة الحياة. ولعل الحياة الاجتماعية التي عاشها تولستوي بعد سفره لأوروبا كنت المحددة لإطار تلك المرحلة، يقول تولستوي: " وكانت حياتي في أوروبا، وتعرفي بعظماء مفكريها وعلمائها، عاملًا فعالًا على تأييد عقيدتي بإمكانية الوصول إلى الكمال العام ... وهم يعبرون عنه بكلمة التقدم ."[٥٧] وما نرى ذلك إلا لونًا آخر من ألوان المادية الحسية التي غرق فيها تولستوي، وما كانت تزيده إلا بعدًا عن طريقه الذي ينشده في البحث عن حقيقة الحياة والوصول نحو غايتها، فالمدنية والتقدم ما هي إلا طور من أطوار المادية التي لا تغني بالضرورة عن الإيمان والاعتقاد الروحي، وقد مثل عصر النهضة الأوربية[٥٨] توجهًا جديدًا في الفكر نحو الإنسان " فأصبح مفكرو عصر النهضة أكثر اهتمامًا بالإنسان، ومن هذه الحقيقة استمدت الحركة الثقافية الجديدة اسمها، وهو النزعة الإنسانية[٥٩] "[٦٠]. وعليه فإن التوجه نحو الإنسان والاهتمام بالتقدم والمدنية قد تأثر به تولستوي، " وقد اعتقدت في ذلك الوقت أن هذه الكلمة ذات معنى حقيقي بذاتها".[٦١] ولعل هذا الاعتقاد الذي غلف فكر تولستوي دفعته إليه تلك الطفرة غير المسبوقة في الحياة المدنية في أوروبا في هذا التوقيت، فحجبت بين إدراكه لحقيقة الحياة التي تسمو فوق المدنية والتقدم، لكن ظل جانب وجداني عاطفي داخل نفس تولستوي من مرحلة إيمانه يدفعه لرفض فكرة كون المدنية والتقدم يمثلان غايته نحو الكمال العام، فيقول: " لكن عواطفي دون أفكاري كانت تثور في ظروف نادرة على خرافات ذلك العصر وأوهامه التي تقود الناس إلى تجاهل جهلهم المذيب لحقيقة الحياة ".[٦٢] وعلى هذا فإن تلك النفحات الروحية التي عبر عنها تولستوي بالعاطفة لم تستمر معه بشكل دائم نحو نقض

عقيدته في التقدم والمدنية، بل مثلت عاملًا مساعدًا مع بعض العوامل الأخرى، فالأحداث والوقائع قد تغير من منظورنا تجاه المعتقدات، خاصة إذا كانت هشَّة ولا تجد ما يدعمها عقليًا وروحيًا، فقد مثلت حقيقة الموت تغيرًا في فكر تولستوي نحو المدنية والتقدم وكونهما غايته نحو الكمال العام، فيقول: "وفي أثناء إقامتي في باريس أظهر لي منظر إعدام أحد المجرمين ضعف اعتقادي الوهمي بالتقدم ".[٦٣] ولم تكن تلك الواقعة هي الوحيدة التي أثرت في عقيدة تولستوي، فقد كان لموت أخيه بالغ الأثر في لفظ عقيدة التقدم والمدنية من معتقد تولستوي وكونها تمثل غاية عامة نحو تحقيق الكمال العام فيقول :" وهناك حادثة أخرى أظهرت لي نقصان الرأي القائل بضرورة اتخاذ عقيدة التقدم الوهمية هذه نظامًا للحياة، أما الحادثة فهي موت أخي ".[٦٤] وعليه فقد بدأت عقيدة الإيمان بالتقدم والمدنية وكونهما غايةً للكمال العام وحقيقة للحياة تلفظ أنفاسها الأخيرة في فكر تولستوي، لكن على الرغم ذلك ظلت بقايا هذا الاعتقاد معلقةً بفكره، لكنه اتخذ شكلًا آخر، فأخذ تولستوي بتعليم أبناء الريف وأولاد الفلاحين كلون من ألوان التقدم، فيقول: " وفي هذه الحالة كنت أشتغل ثانية باسم بالتقدم، ولكنني في هذه المرة كنت أنظر بروح الفاحص الناقد إلى الأسس التي يقوم عليها صرح التقدم. فقلت لنفسي: إن التقدم يجب أن ترافقه الحرية والعقل، ولذلك يجب أن يعطى أبناء الريف وأولاد الفلاحين ماء الحرية باختيار الطريق الصحيح التي تلائمهم للبلوغ إلى التقدم الذي يحتاجون إليه"[٦٥]. ولعل هذه الحالة مثلت تقدمًا نوعيًا في فكر تولستوي نحو عقيدته في التقدم، حيث ربط تولستوي بين التقدم والأثر الملموس المتروك من الفعل تجاه طائفة معينه تنقصها هذه الخدمة، ولعلها كانت المرة الأولى التي يقدم عليها تولستوي في فعل أعمال طيبة ذات أثر ملموس على الغير دون النظر لنتائجها المادية وما يجنيه من خلفها من ثمار تهدف للربح أو الشهرة . وعليه فقد تحول التقدم في نظر تولستوي إلى أعمال جليلة تترك أثرًا على فئة (العمال والفلاحين) تلقى اضطهادًا في تلك الفترة الزمنية، وكان هو نفسه يعاملها من قبل بشيء من الكبر والتعالي .

ظل تولستوي متقلبًا بين دروب الحياة، متنقلًا بين تطوراتها الاجتماعية، فشغل بعمله حينًا وببيته وزوجته أحيانًا أخري، حتى كانت لحظة فارقة في حياة تولستوي، وهو التطور الذي انتقل من التمحور حول الذات إلى البحث في الوجود وغايته، ولعل اللحظة الفارقة في حياة المفكر التي تعيد صياغة حياته الماضية وترسم طريقه فيما هو آت، فيقول تولستوي عن هذا التطور: " شعرت بتطور غريب في حياتي، فكنت أرى نفسي في حيرة، لا أدري كيف أتخلص منها، لا أعرف كيف أقدر أن أعيش، ولا ماذا أعمل في حياتي "[٦٦]. وكأن كل الحياة السابقة واعتقادات تولستوي لم تستطع أن تخرجه من حيرته أو تبين له سبيل حياته، فوجد تولستوي نفسه أمام سؤال حتمي لم يجد في حياته المادية النفعية إجابة له، فيقول: " ولا أجد أمام عيني سوى شبح قاتم يردد عليَّ بصوته الراعب قائلا: لماذا تعيش ؟ وما هي الغاية من حياتك ؟ "[٦٧] وعلى هذا نستطيع القول: إن تولستوي وقف مواجها ذاته بسؤال تأخر كثيرًا في طريق بحثه عن الإيمان، وهي المرة الأولى التي ينتبه فيها تولستوي للجانب الروحي الذي

أهمله طوال رحلته الطويلة التي غلب فيها جانبه المادي على جانبه الروحي، فقد " أصيب بصدمة نفسية مفاجئة، صدمة ارتعدت منها فرائصه، واهتز لها كيانه، وأخذ من هولها يلتمس له دعامة تسنده فلا يضطرب، ويطمئن إليها فلا يهوي "[٦٨]. وعليه نستطيع القول: إننا أمام مرحلة جديدة ترسخ لخطوة فعالة تجاه وصول تولستوي إلى الإيمان.

ثالثًا: خطوات تولستوي نحو الإيمان:

وصل طريق تولستوي في رحلة بحثه عن الكمال العام إلى خطوات متقدمة نحو الوصول إلى حقيقة الإيمان، حيث وقف أمام سؤاله المحير حول غايته من الحياة، حيث " حلت هذه الأزمة النفسية بتولستوي وهو في نحو الخمسين من عمره، وهي أزمة لا نستطيع أن نصفها، ولا نستطيع أن نردها إلى سبب بعينه، فقد كان الرجل يعيش عيشة لا تؤدي في ظاهرها إلى الضيق"[٦٩]. لكن وصل به الحال أن ضاقت به الأرض زرعًا، ووصل لحالة من اليأس ظن أن المخرج منها هو الانتحار، وترك الحياة، فيقول: " كانت فكرة الانتحار تخطر لي في كل يوم، بل كل ساعة"[٧٠]. لكنه قاوم تلك الفكرة محاولًا تلاشيها عن طريق الانشغال عنها حينًا، وتجاهلها أحيانًا أخرى، " وأصبح من العسير بعد هذا أن نلتمس سببًا ظاهرًا يدفعه إلى التبرم والضجر"[٧١]. ولعل حالة الشك التي حلت بتولستوي قد حلَّت على كثير من الفلاسفة مع اختلاف تنوعاتهم وأهدافهم الفكرية، يقول ديكارت: " غمرني تأمل البارحة بفيض من الشكوك ، لم يعد باستطاعتي أن أمحوها من نفسي، ولا أن أجد مع ذلك سبيلًا لحلها " [٧٢]. لكن ظل سؤاله المحير يدور في خلده محاولًا الوصول إلى إجابة تروى اشتياقه لفهم حقائق تلك الأشياء، فيقول: " ولذلك عمدت إلى جميع فروع المعرفة[٧٣] البشرية أنشد إيضاحًا للمسائل الخطيرة التي كانت تعذبني"[٧٤]. وعلى هذا فقد سعى تولستوي إلى فروع المعرفة لعله يجد في أحدها ضالته نحو اليقين، وفي سبيل سعي تولستوي بالبحث داخل المعرفة البشرية عن إجابة لسؤاله، قسمها تولستوي إلى قسمين، فيقول: " وجدت أن المعرفة تجاهه تنقسم إلى قسمين: قسم سلبي وقسم إيجابي: أما الجواب على قضايا الحياة فلا أثر لها في القسم السلبي ولا في الإيجابي"[٧٥]. ولعل موقف تولستوي في نقضه للمعرفة البشرية قريب من موقف الغزالي الذي "قرر أن المعارف الحسية جميعها غير يقينية، ولذلك لا تمثل له علمًا حقيقيًا؛ لأنها لا تخلو من الأمان، بل هي خادعة للإنسان، ويشاركها في خداعه الوهم؛ لارتباطه بها، واعتماده عليها"[٧٦]. لكن الفرق بين الغزالي وتولستوي أن الغزالي انطلق من الإيمان وبحث عن الوسائل التي تحقق له اليقين مع تحصنه بالنص الإيماني، لكن تولستوي انطلق باحثًا عن الإيمان دون حماية فوقع متخبطًا بين تقلبات المعرفة البشرية، كما يعد موقف تولستوي من المعارف قريبًا من موقف ديكارت من المعرفة الحسية، حيث قرر ديكارت " أن يعتبر كل ما عرفه عن طريق الحواس هو باطل"[٧٧].

وعلى الرغم من إدراك تولستوي لعجز المعرفة البشرية أمام تلك التساؤلات، إلا أنه سعى جاهدًا تجاهها، مفتشًا في دروبها، باحثًا عن غايته في ثناياها، فكانت بدايته مع معتقداته القديمة، فبحث فيما أطلق عليه شريعة النمو ظنًّا منه أنها تمثل شريعة الوجود، فيقول: " كنت أعتقد أن شريعة نموي هذه هي بعينها شريعة الوجود، وهي كافية لإيضاح معنى حياتي "[٧٨]. وعليه فقد عدَّ تولستوي فكرة النمو التي تفسر الماديات الحية والتي لاحظ أثرها في جسده تستطيع أن تكون قانونًا للحياة يستطيع أن يفسر من خلاله تلك التساؤلات التي مثلت عائقًا بينه وبين الاستمتاع بحيته، لكنه سرعان ما اكتشف عجزها عن بيان تلك المحيرات داخل نفسه، فيقول: " فرأيت أن شريعة النمو هذه لا يمكن أن توضح لي شيئًا ولا يمكن أن تكون موجودة قط...وأدركت بعد الدرس والفحص أنه يستحيل أن توجد في الوجود شرائع للنمو الدائم "[٧٩] وعلى هذا فقد فشلت معتقدات تولستوي أن يجد فيها إجابة لسؤاله، وظل متعايشًا مع سؤاله، وظل يبحث في فروع المعرفة لعله يجد ضالته، فاتخذ من العلوم قبلته واتجه إليها باحثًا عن جواب لسؤاله، لكنه وجد نفسه أمام عجز جديد، فيقول: " فالعلوم الطبيعية والعلوم النظرية سواء تجاه قضية الحياة؛ لأن اهتمام أصحابها بمباحث خارجة عن دائرة إدراكهم يجعل آرائهم من هذا القبيل كثيرة الغموض، ممتلئة بالأغلاط الفاضحة، والمتناقضات المضحكة"[٨٠]. ولعل العلوم بشقَّيْها ظلت حائرة هي الأخرى في تحديد مدلول للأسئلة التي طرحت أمام تولستوي، والتي زادت حدتها مع مرور الوقت وتحولت إلى تساؤلات أكثر تعقيدًا، فيقول: " على الرغم ما بذله فلاسفتها من الجهود الكثيرة، أوضحت أخيرًا أنه ما من جواب لسؤالي الذي وضعوه أمام عيني بصورة أكثر تعقيدًا وصعوبة من قبل"[٨١]. وأمام هذا العجز الذي تحسسه تولستوي في تلك العلوم توجه إلى الفلسفة باحثًا عن غايته فيها، " فكان يَنشُد الحقيقة ويغوص لجنة الفلسفة لا عن لذة طبيعية في التأمل أو عن تشوق عقلي، ولكنه أراد أن يتقي اليأس"[٨٢]. لكنه لم يجد لديها الجديد أكثر مما قدمه هو لنفسه، فيقول: " رأيت أيضا أن الفلسفة، التي قد تكون غايتها الأولى في البحث عن المسائل التي أبحث عنها لم تقدر أن تقدم لي سوى الجواب الذي قدمته أنا لنفسي "[٨٣]. وعليه فإن الفلسفة قد وصفت حالة تولستوي ولم تقدم جديدًا أكثر مما توصل إليه مما أعطي تولستوي انطباعًا بأن تلك العلوم لا تستطيع خوض غمار تلك المسائل، " فالفلسفة والعلم كلاهما لم ينتهيا به إلى غاية"[٨٤]. وأما تلك الحالة التي أصبح عليها تولستوي بدأ يدرك أن فكرة العجز أصبحت ثمة مشتركة بين كافة فروع المعرفة، حيث ضلت به السبل بين دروب المعرفة البشرية، فيقول: " وقد عرفت إذ ذاك أن فروع المعرفة هذه لذيذ درسها، شيق التأمل فيها، ولكنها كانت تظهر –بملء الوضوح– عجزها الكامل عن الإجابة على مسائل الحياة"[٨٥]. وقد أيقن تولستوي عجز فروع المعرفة أمام تساؤلاته، " فالسياحة في حقول المعرفة البشرية لم تقتصر على شفائه من بؤسه، وإنما زادته تعاسة وبؤسًا "[٨٦]. لأن فروع المعرفة لم تتصد لمثل تلك التساؤلات، بل تعرض عنها، فيقول: " ولكننا نعرف قبل ذلك أننا لن نهتدي إلى الجواب المنشود على أسئلتنا المتعلقة بالحياة نفسها؛ لأن فروع هذه المعرفة تتجاهل قضية الحياة، وتعرض عنها كأن لا وجود لها"[٨٧]. وأمام تلك الحقائق التي

توصل إليها تولستوي في سبيل بحثه عن أجوبة تريح قلبه وتجلب له اليقين حتى تستريح النفس ويهدأ الوجدان، أصبح تولستوي مدركًا أن فروع المعرفة لا تهديه في ضالته ولا ترشده دنيته، فيقول: " لم أجد لي ملجأً لا في نور العلوم الرياضية والطبيعية التي كانت سبلها مفتوحة أمامي، ولا في ظلمة الفلسفة التي كانت تقودني كل خطوة فيها من السيئ إلى الأسوأ، ومن المظلم إلى الأكثر ظلامًا إلى أن ثبت لدى أخيرًا أنه لم يكن ولن يكون في الوجود شيء مما أفتش عنه "[٨٨]. وعليه فإن تولستوي أدرك أخيرًا أن الوجود لا يمثل سوى حلقة من حلقات حياته، ولا يمكن أن يكون فيه جواب شاف يرتضيه، فالجزء لا يستطيع أن يعبر عن كلٍّ هو نفسه لا يمثل حقيقة فيه.

وعليه فقد غير تولستوي وجهته نحو الحياة نفسها لعله يهتدي من خلالها ويجد فيها إرشادًا يهدي الحيارى فيقول: " وبعد أن فشلت في الاهتداء إلى ضالتي في المعرفة والعلم والفلسفة شرعت أنشدها في الحياة نفسها، مؤملًا أن أجدها في الناس المحيطين بي، فبدأت أراقب الرجال الذين مثلي، وألاحظ كيفية معيشتهم، وموقفهم تجاه السؤال الذي حيرني وقادني إلى اليأس"[٨٩] .وعلى الرغم من هذا التوجه الجديد الذي سعى إليه تولستوي نحو البحث عن إجابة على تساؤلاته إلا أنه وجد الناس على دروب وأنواع، وكل نوع قد شغل نفسه بجزء من حياته، ولم يشغل نفسه بالبحث عن الهدف من حياته، فيقول:" إن رؤية بطلان الحياة سهلة جدًا، وطالما كانت واضحة لأبسط البسطاء. ولكن الناس عاشوا وما زالوا يعيشون في كل ساعة. ولكن لماذا يعيش الناس، ولا يفكرون في صوابية الحياة التي يحيونها"[٩٠] وعليه فإن تولستوي لم يجد في الحياة نفسها المتمثلة في حياة أقرانه والمحيطين به جوابًا لتساؤلاته نظرًا لانشغالهم بأمور حالت بينهم وبين فهم غاية وجودهم في الحياة، وأمام كل تلك الحالات التي سجلت عجزها أمام تولستوي ولم تستطع هدايته في طريق بحثه وجد تولستوي نفسه أمام حقيقة تنير له نهاية الطريق وتخبره بقرب الوصول وهو الإيمان الذي ظل تولستوي يبحث عنه طيلت حياته، " فأخذ يلتمس طريقًا وهدفًا لنفسه الحائرة كي يعيد إلى روحه دعتها وطمأنينتها "[٩١] فالحيرة والشك الذي ظل فيه تولستوي طيلة حياته، وهو الذي بحث عن إجابة شافية لروحه العليلة في كافة نواحي الحياة ولم يجدها بدأ يتحسسها في الإيمان، فيقول: " وجدت نفسي محمولًا إلى التسليم بأن وراء المعرفة العقلية، التي كنت أعتقد أنها المعرفة الحقيقية الواحدة، وُجد ويُوجد في كل إنسان نوع آخر من المعرفة لا سلطان للعقل عليه، وهو الايمان الذي يساعد الناس على الغبطة في الحياة... ولم أجد بدًّا من التسليم بأن الأيمان وحده منح الإنسان جوابات معزية على مسائل الحياة، ومهد أمامه العقبات الحائلة دون سعادة حياته"[٩٢] وعليه فإن تولستوي قد اهتدي مؤخرًا للإيمان الذي وجد فيه ضالته وسعى كثيرًا للبحث عنه. " فازْوَرَّ عنه العقل، ومال إلى القلب، ودعا الله قائلا: اللهم هبني إيمانًا قويًا أملأ به قلبي، وأهدي إليه غيري"[٩٣] وتحولت معه حياة تولستوي إلى حياة ذات معنىً، وأزال من طريقه كافة العقبات التي حالت بينه وبين استكمال مظاهر حياته، فيقول :" فبالإيمان إذن نستطيع أن نجد الحياة، وبه نفهم معانيها السامية"[٩٤] وعليه فقد وصل تولستوي إلى الإيمان بعد رحلة طويلة مع الحياة، ظل فيها تائهًا بين دروبها، حتى

جاءت لحظة المكاشفة التي استطاعت الوصول بتولستوي لطريق الهداية، فأدرك أن " الحياة من غير إيمان مستحيلة. وهنا أدرك تولستوي معني الدين " فقد ربط تولستوي كل شيء بالدين، وأكد أنه الرؤية التي يمكن للإنسان من خلالها فهم موقعه من الكون، ووظيفته، ودوره فيه"[٩٥] وقد ارتأى البعض أن تلك اللحظة ماهي إلا أزمة نفسية أحاطت بالرجل في هذا العمر المتقدم " فربما كانت أزمة نفسية طارئة جزعًا من تقدم السن والشيخوخة، أو خوفًا من الموت"[٩٦] لكننا ننظر إليها بأنها لحظة إدراك وفهم للذات ومحاولة الوصل بعيدا عن الواقع الملموس. وعلى الرغم من وصول تولستوي إلى حقيقة الإيمان إلا أنه ظل محتفظًا بمنظوره الخاص لمفهوم الإيمان، حيث عبر عن نوع آخر من الإيمان وجد فيه نوعًا شاملًا لكافة نواحي الإيمان المختلفة، فلم يرتضِ تولستوي بمفهوم الإيمان الذي يأتي عن طريق الوحي الذي ينزل على القلوب ولم يرتض بمفهوم الإيمان الذي يعبر عن علاقة الإنسان بالله، ولم يرتضِ بفكرة الإيمان التي تعبر عن الإذعان بما أُخبر به الإنسان، فيقول: " ليس الإيمان كما فهمته بإعلان غير المنظورات فقط، ولا هو بالوحي الذي ينول على قلوبنا فقط ... ولا هو علاقة الإنسان بالله فقط .. ولا هو الإذعان لما أخبر به الإنسان فقط"[٩٧]. وعليه فإن تولستوي لم يعتقد مفهوم الإيمان بأي شكل من هذه الأشكال، حيث يعتقد أنه يمثل جانبًا واحدًا من جوانب الإيمان؛ ولذا نجده يعبر عن مفهوم آخر للإيمان يجد فيه مدلولًا أوسع وأشمل مما ذكر، فيقول: " إنما الإيمان الحقيقي الكامل هو معرفة معاني الحياة الإنسانية معرفة حقة تحمل الإنسان على محبة الحياة والمحافظة عليها"[٩٨]. وعلى هذا فإن مفهوم تولستوي للإيمان يختلف عن ذلك الإيمان الذي نفر منه وخلع عباءة قيوده قديمًا وتحرر من ملزمات الكنيسة، حيث بحث تولستوي عن مفهوم عام للإيمان يتجاوز تلك التعاليم الكنسية، ويسمو فوق منظور بعض الناس للفكر الضيق للإيمان، فقد وجد في الإيمان الذي يعبر عن معاني الحياة مفهومًا أوسع يستحق السعي إليه.

المبحث الثالث: الإصلاح الديني في فكر تولستوي :

تمثل حركة الإصلاح الديني داخل المجتمعات نقطة تحول كبرى في تاريخ الأمم، حيث تعد نقطة تحول داخل أفكار ومعتقدات أبناء المجتمع، إذ اعتمدت تلك الحركة على دعائم وأصول لها ثوابت في نفوس أتباع تلك الحركة، كما يعد نقاط الإصلاح التي تتبناها تلك الحركات أحد جوانب اليقين عند أتباعها، إذ تعلقت بالقضايا الخلافية التي مثلت عائقًا أمام أبناء هذا المجتمع، وخلقت حالة من الاضطهاد والطبقية المبنية على الأصول الدينية التي تبعد كل البعد عن حقيقة الدين ومقاصد شريعته.

ويُعد تولستوي أحد مفكري حركة الإصلاح الديني داخل المجتمع الروسي، حيث مثلت أفكاره وآراؤه الدينية نقطة تحول داخل نفوس أتباع الكنيسة الروسية، كما مثل موقف الكنيسة تجاه تولستوي جانبًا من جوانب

الصراع بين مفكري الإصلاح والسلطة الدينية الحاكمة، كما مثلت كتابات تولستوي الدينية وموقفه من تعاليم الكنيسة منحىً جديدًا داخل المجتمع الروسي الذي كان يدين آنذاك للكنيسة وتعاليمها.

هذا ولا يمكن النظر لحركة الإصلاح التي قادها تولستوي داخل المجتمع الروسي بعيدًا عن تلك الحركة التي قامت قبله داخل المجتمع الأوروبي ضد سطوة الكنيسة وتعاليمها، مع الأخذ في الاعتبار العوامل الاجتماعية والسياسية المحيطة بكل حركة، ومضمون كل حركة وأهدافها الدينية والاجتماعية، ومدى التقبل المجتمعي لمفهوم كل حركة، وآثارها على الفرد والمجتمع .

هذا ويشكل تاريخ روسيا القيصرية جانبًا مهمًا من تاريخ أوروبا الحديثة، فروسيا كان لها دور فعال في صناعة الأحداث في القارة الأوروبية؛ مما جعل تاريخها يدخل في نطاق التاريخ الأوروبي، وعليه فالربط بين حركة الإصلاح التي قامت داخل المجتمع الأوروبي وبين فكر تولستوي عن الإصلاح أمر مهم .

المطلب الأول: الإصلاح الديني الأوروبي وأثره على فكر تولستوي:

يعد الإصلاح الديني[٩٩] الذي حدث داخل المجتمع الأوروبي، وما نتج عنه من ظهور المذاهب البروتستانتية ثم ظهور الإصلاح الديني الكاثوليكي المضاد من أهم الحركات التي كانت لها جذور منذ فجر التاريخ الحديث، ثم استمرت في التفاعل والتطور، حتى أصبح الإصلاح الديني من الحركات التي تؤثر في حياة المجتمع الأوروبي خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، وقد تسبب في وقوع أحداث ووقائع ذكرت في التاريخ الأوروبي الحديث.

هذا وقد تأثرت الحضارة الأوربية بحركة الإصلاح الديني التي فتحت المجال أمام الثورة العلمية التي نقلت الحضارة الأوربية لمكانة مغايرة عما كانت عليه، "وعندما نتحدث عن الحضارة الأوروبية فالمقصود مجموعة الاعتقادات والعادات السائدة في أوروبا وسنجد ذلك مرتبطًا منذ القدم بالدين المسيحي الذي أثر في تشكيل الدولة الأوربية، ورسم معالمها التي تطورت لاحقًا بفضل الثورة الصناعية والعلم التطبيقي".[١٠٠] هذا وقد تأثرت أوروبا بعدة حركات مرت عليها عبر تاريخها الحديث غيرت من وجهتها تجاه الدين، وخلقت حالة من التحرر من سلطة الكنيسة، وقد أثرت تلك الحركات تباعًا على المجتمع الأوروبي، حيث تعد أزمة انقسام الوحدة الدينية في أوروبا أحد أهم معالم البداية الفعلية للأزمنة الحديثة، " وكان هذا الشقاق نتيجة لازمة الإصلاح الديني الذي قام به المصلحون الدينيون عندما رفضوا قبول بعض النقاط الأساسية في مذهب الكنيسة الكاثوليكية، وأسسوا كنائس جديدة انفصلت عن الكنيسة الرومانية". [١٠١] ولعل هذا الانفصال الحديث الذي عرف بالانفصال البروتستانتي كان له خطورته على الكنيسة الأم التي أخذت في الضعف بعد ذلك تباعًا. ولعل تلك الحركة تعد حركة إصلاح داخلي

حيث توجد داخل نفوس الأوساط الدينية المتمسكة بإخلاص العقيدة " قناعة ترنو إلى ضرورة إصلاح أصول الحكم والإدارة في الكنيسة وفي طرق التثقيف الديني".[١٠٢] ومما يجعل تلك الحركة حركة داخلية هو الاهتمام الذي أخذ بعض الناس نحو معالجة الأخطاء داخل إدارة الكنيسة، حيث ترجم هذا الأمر إلى نزعتين مختلفتين، " فقد كان البعض يهتمون خاصة بمعالجة المساوئ التي يرونها في إدارة الكنيسة، وكان الآخرون يعنون خاصة بتقوية الثقافة الدينية".[١٠٣] وعلى هذا فإن الحركات الفكرية التي قامت في عصر النهضة[١٠٤] كان لها دور بارز في تبلور حركة الإصلاح الديني وظهورها على ساحة الفكر الأوروبي، ولعل من أهم تلك الحركات هي النزعة الإنسانية[١٠٥] وهي التي نقلت الفكر من دراسة الظواهر الكونية والعالم إلى التمحور حول دراسة الإنسان نفسه، حيث " اتجه مفكرو النهضة إلى الاهتمام أكثر بالإنسان، فمن هذه الحقيقة استمدت الحركة الثقافية الجديدة اسمها وهو " النزعة الإنسانية" التي كانت من ثاني العوامل الكبرى المؤثرة في هذه الفترة ".[١٠٦] وعلى الرغم من هذا التوجه الجديد تجاه الإنسان إلا أنها كانت من المراحل الإيمانية التي تتعلق بالدين، ولكنه بدأ يأخذ شكلًا جديدًا عن ذي قبل، حيث أصبحت النزعة الإنسانية تنافس اللاهوت على مساحة الاهتمام " ولا يعني ذلك أن الإنسانيين في عصر النهضة كانوا ملحدين بل كانوا مؤمنين بعمق"[١٠٧] وعلى الرغم من أن تلك الحركات كانت سابقة على عصر تولستوي، إلا أن أفكارها التي كانت منتشرة داخل المجتمع الأوروبي من خلال كتابات مفكريها وامتدادها إلى عصور متأخرة قد تأثر بها تولستوي في فكره، من خلال رحلاته الأوروبية ومخالطته بمفكريها، وظهر هذا جليًا من خلال كتاباته، وهو الذي ترجمه بعد ذلك من خلال مدرسته التي افتتحها في قريته، وقام بتعليم أبناء الفلاحين كما أشرنا لذلك مسبقا.

هذا وقد كان التيار الإنساني " يهدف منذ بدايته إلى التغير والتجديد، وذلك من خلال سعيه إلى تحقيق سبل حياة جديدة تواكب موجة التطور والتغير المدهش لمختلف التقنيات الآلية ... حيث لاحظ الإنسانيون أنه إلى جانب هذه التغيرات المادية لابد من تغير على مستوى الرؤى والأفكار والنظريات، يكون منفصلًا تماما عن الرؤى التقليدية".[١٠٨] وعليه فإن فكر التغيير والتجديد الذي سعى إليه التيار الإنساني كان له بالغ الأثر في فكر تولستوي، سواء على الصعيد الاجتماعي، كما بينَّا ممن خلال سعيه لتغيير وعي أبناء الفلاحين عن طرق توفير التعليم، أو من خلال محاولاته التغير داخل الكنيسة وهي التي عرفت بحركة التمرد على تعاليمها- كما سيتضح بعد ذلك-، ووجه الربط بينهم أن الحركة الإنسانية كانت " حركة تمرد واعية بذاتها، وتمرد ضد أسلوب حياة فاسد شديد التعقيد باليًا كريهًا، عمد الإنسانيون فيما يبدو إلى فتح نافذة يدخل منها هواء نقي".[١٠٩] وعليه فقد التقي تولستوي مع أرباب الفكر الإنساني في التمرد على أسلوب الحياة الاجتماعي والديني، حيث سعى لرؤية جديدة تتعلق بأفكاره تجاه المجتمع والدين.

وهناك عامل آخر له أهميته في حركة الإصلاح الديني داخل المجتمع الأوروبي الذي تأثر به تولستوي بشكل كبير، وهو الشكل الثوري في فكرة الإصلاح في الكنيسة، والذي تبناه مارتن لوثر[١١٠] في ثورته ضد تعاليم الكنيسة، وخاصة " صكوك الغفران "[١١١] والذي رأي فيه لوثر مخالفة لأفكاره التي آمن بها ووجد فيها تحقيق السلام[١١٢]، حيث " وجد لوثر أن الاعتقاد الذي يستند إليه مبدأ صكوك الغفران يتعارض مع فكرة " التبرير بالإيمان وحده " التي وجد فيها لوثر السلام الذي ينشده، حيث كان لوثر ينزع إلى ديانة داخلية، أي إلى عبادة فكرية ترجع الطقوس والأعمال الدينية إلى رموز....، والكنيسة الكاثوليكية[١١٣] تعلق الفكرة بحرفية النص"[١١٤]، ولعل تلك التعاليم التي نقلها لوثر للمجتمع الأوروبي قد تركت أثرًا في نفس تولستوي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، ترجمت إلى موقفه المعادي لتعاليم الكنيسة وطقوسها، كما كان لموقف لوثر بإعلان نظرياته ضد الكنيسة بالغ الأثر في تعامل تولستوي مع الكنيسة وطقوسها العملية، حيث رفض لوثر تلك الطقوس، " ففي ٣١ تشرين الأول ١٥١٧ أعلن على باب كنيسة فتامبرغ خمسًا وتسعين نظرية ضد صكوك الغفران. وهذه النظريات كانت أساسًا للإصلاح البروتستانتي ". [١١٥] وعليه فيمكن الربط بين أفكار تولستوي ونظرته للمجتمع وبين حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة الأوربية، حيث حكم المفكرون على تلك الفترة بالثورة الفكرية والدينية، فكان فيها " النزوع إلى التفكير الحر والفردية أي انفصال الفرد عن التقيد بما لا يستسيغه أو يعتقده، وظهرت تلك الروح في التفكير الديني فنتجت عنه حركة الإصلاح البروتستانتي وغيرها من الحركات"[١١٦] وهذا ما طبقه تولستوي في تعامله مع الدين ونظرته للطقوس الكنسية .

كما تولدت في عصر النهضة حركة لا يمكن إغفال مردودها على جانب الوعي في فكر تولستوي وتعامله مع الدين وتعاليم الكنيسة، وهي حركة نقد الكتاب المقدس الذي أخذ يطفو على ساحة الفكر في تلك الحقبة الزمنية، ثم أخذ في التطور وزيادة الظهور، حيث أخذت فكرة النقد الموجهة إلى الكتاب المقدس، وهي التي نادت بتطهير الدين والعودة به إلى أصوله، وقد كانت هذه الحركة تهدف بشكل أساسي إلى الحد من فساد رجال الكنيسة الذي طغى على العقائد والتعاليم الدينية. ويعد " ديسريوس أرازموس "[١١٧] أحد أبرز رواد هذه الحركة، وله تأثير كبير في عصره، حيث " أدان العلل التي تفتك بالمسيحية من طمع رجال الدين في أرزاق الناس، وجهلهم بالعلوم، وتبنيهم للخزعبلات والخرافات التي يفرضونها على الوعي الشعبي ".[١١٨] ولعل فكرة الوعي الشعبي والتحرر من خرافات الطقوس الدينية التي فرضها رجال الكنيسة على العامة خلقت حالة من الوعي الفكري أسهم في الإصلاح الديني الأوروبي، وترك أثرًا ملموسًا في نفس تولستوي وتعامله مع الطقوس الدينية والتعاليم الكنسية. هذا وقد دعا أرازموس لإتاحة الفرصة أمام الجميع للاطلاع على نسخ الأناجيل عن طريق نشرها، حيث كانت الأناجيل حكرًا على رجال الدين، فيقول: " أتمنى أنه حتى النساء يقرأون الأناجيل ورسائل القديس بولس، أتمنى حتى الفلاح أو العامل يتغنيان بهما أثناء العمل ... إن العمادة والقرابين المقدسة ملك لكل المسيحيين، فلماذا

تصبح المعرفة العقائدية بالدين حكرًا على أقلية من الرهبان واللاهوتيين".[١١٩] وعلى هذا فإن عصر النهضة أخذ يتطلع إلى وجود نسخ وترجمات من الأناجيل تتاح للجميع، وهذا ما فتح المجال أمام حركة النقد للكتاب المقدس، حيث قام ارزم اللاهوتي الهولندي بنشر ترجمة للكتاب المقدس اليوناني للعهد القديم أظهرت أن نسخة الكتاب المقدس اللاتينية التي اعتمدت عليها الكنيسة لم تكن الوثيقة الأصلية، وأن بها أخطاء في مواضع عدة[١٢٠] وعلى هذا فقد مثل عصر النهضة الأوروبية نقلة نوعية في النظر إلى الكتاب المقدس وتقديم سهام النقد إليه، ومع تقدم الأحداث والتطورات كان عصر التنوير[١٢١] الذي يعد نقطة فاصلة في حق الإنسان وحق العقل، وهو الذي يتيح المجال أمام النقد، فمثَّل مرحلة مفصلية في تاريخ النظر نحو الأصول والمقدسات، فكان " الصراع الذي اندلع بين التنويريين والأصوليين لم يعد يدور فقط حول العقائد الدينية وكيفية تفسيرها، وإنما حول نمط اليقين الديني ذاته، ولم يعد يدور حول مضمون الإيمان فقط، وإنما حول صيغة الإيمان وجوهره، وبالتالي فإن فلاسفة التنوير وبخاصة الإنجليز والألمان لم يحاولوا تدمير الدين بكل قواهم، وإنما تنظيف الدين من الشوائب وإعادة تأسيسه بشكل جديد".[١٢٢] ولعل هذا كان لب تفكر تولستوي الديني، الذي تأثر بشكل كبير بحركة التنوير الأوروبية والإصلاح الديني داخل المجتمع الأوروبي، مما خلق حالة من محاولة التصدي للتعاليم الدينية التي يتلقاها العامة من رجال الكنيسة، كما حاول تنقيح أصول الاعتقاد التي جاءت في الأناجيل، حيث خرج بإنجيل جديد عرف بإنجيل تولستوي.

إن رحلات تولستوي داخل المجتمعات الأوربية واختلاطه بأرباب الفكر الأوروبي، واطلاعه على كتابات رواد حركة التنوير في تلك المرحلة خلق حالة من الترابط الفكري بين التطور الأوروبي تجاه نظرة المجتمع إلى الدين، وبين ما قدمه تولستوي من أفكار دينية داخل المجتمع الروسي، وعليه فإن الأثر الأوروبي في حركة الإصلاح الديني يظهر بشكل جلىّ في جانب الفكر الديني عند تولستوي.

المطلب الثاني: موقف تولستوي من الدين وتعاليم الكنيسة:

حينما وصل تولستوي إلى مرحلة الإيمان التي تداركها بعد مرور مراحل عمره المختلفة، وبعد تلك الأزمة النفسية التي حطت عليه في سنه الخمسين التي أدرك من خلالها أن الإيمان وحده هو من يستطيع أن يجيب على تساؤلاته، ويخرجه من حالة الشك التي وقع فيها، هنا بدأ تولستوي يعود مرة أخرى إلى الكنيسة، بعد أن هجرها في سن مبكر، لكن عودة تولستوي هذه المرة إلى الكنيسة كانت عودة المدقق الفاحص والمتتبع لكل تعاليم الكنيسة، والباحث عن أصول تلك التعاليم، محاولًا تحديد موقفه من الدين، وباحثًا عن إصلاح ديني يقوده داخل المجتمع الروسي. ومع هذه العودة بدأ تولستوي يعيد النظر في كافة المعتقدات التي يلقيها رجال الدين على العامة، باحثًا عن أصولها ومدى ارتباطها بتعاليم المسيح، يقول تولستوي: " ولما كنت لا أنكر على تعاليم المسيح

تضمنها لنظام الحياة الحقيقية، حدا بي الفكر إلى إجلاء النظر في تلك التعاليم والإحاطة التامة بمنابت أصولها التي تفرعت عنها هذه الفروع".[١٢٣] وعليه فإن شخصية كشخصية تولستوي مدققة وباحثة رفضت فكرة التقليد في مقتبل عمرها، لم تكن لترضى به في سن المكاشفة واليقين، وكعادة تولستوي بدأ يبحث عن مبتغاه في أصول الدين المسيحي، وبدأ رحلته البحثية مع القائمين على شئون الدين بالكنيسة ومن بأيدهم إدراك المفهوم الحقيقي للتعاليم الدينية، فيقول: ففي بادئ الأمر استرشدت في ذلك القُسوس والرُهبان والأساقفة والمطارنة وعلماء اللاهوت، فعجزوا عن إقامة الحجة، وكان فيما يقولون تناقض بيّن، فلم أر فيهم فكرًا قادرًا على الحوم حول النقط الجوهرية، ولعل سبب ذلك قلة يقينهم مما به يعتقدون".[١٢٤] وعليه فإن تولستوي لم يجد غايته عند رجال الدين ووجد تعاليمهم تتسم بالشكلية، وعدم قدرتهم إعطاء مفهوم واضح لتلك التعاليم، وبيان أصولها العقائدية في الدين المسيحي. هنا بدأ تولستوي يتوجه بنفسه للبحث والدراسة، فيقول: " رجعت بنفسي إلى جميع التآليف اللاهوتية، فعلمت بالاستقراء فساد ما تعطيه كنيستنا للشعب من العقائد، وتحقق أن ذلك خداع بيّن وضلال مبين".[١٢٥] ومع تلك النتائج التي وقف عليها تولستوي بدأ مرحلة جديدة في حياته هي الأخطر على الإطلاق لما فيها من تطورات أثرت على المجتمع الروسي بأسره، حيث درس اعتقادات الطوائف المسيحية وكنائسها المختلفة، ناظرًا في الخلافات العقدية بين أتباع تلك الكنائس، فيقول: " فنشأ من تخالف كل طائفة مع الأخرى تنافر بين أبناء هذه الطائفة، ليس هو في شيء من تعاليم المسيح، وبالجملة: فإن جميع الطوائف مصدقين لعقائد لا تنفع الحياة، ويقضي بفسادها العقل الصحيح، ثم حكمت بعد ذلك بعدم وجود كنيسة مسيحية مطلقًا".[١٢٦] ويرجع تولستوي فكرة الاختلاف في العقائد المسيحية بين الطوائف المختلفة إلى وجود تلك التعاليم التي حاول كل فريق إضافتها للدين، مدللين على صدق أقوالهم بالكرامات التي تمنح لأقوالهم أولوية القبول عند العامة، فيقول: "وها قد ظهر منذ عصورها الأولى أناس راحوا يقنعون أنفسهم أن المعنى الذي يعطونه هم للدين هو الوحيد الحق، وأن الدليل على ذلك هو الكرامات التي تؤكد صواب فهمهم".[١٢٧] وعليه فقد حاول تولستوي إظهار فساد تعاليم الكنيسة التي جاءت عن طريق رجال الدين، مما يستوجب تنقية تلك التعاليم وردّها إلى أصولها الصحيحة، حيث بيَّن أن فكرة الإيمان قد تحولت إلى إيمان فرعي بعيد كل البعد عن الإيمان الذي نادى به المسيح، فيقول:" وصل منطقيًا في زماننا تغيرات جوهرية شملت عصمة الباباوات والقساوسة، أو عصمة الرسالات، أي إلى كل ما هو مبهم تمامًا إلى درجة الخواء من المعنى، وإلى درجة تطلب إيمانًا أعمى، ليس بالله وليس بالمسيح وليس حتى بالدين، وإنما بأشخاص كما في الأرثوذكسية، أو بكتاب كما في البروتستانتية".[١٢٨] وعليه فقد انتقد تولستوي النظرة الإيمانية المنتشرة بين الطوائف المسيحية التي غيرت أصول المسيحية من الإيمان الحق إلى الإيمان بالأفراد والكتب كلا وفق رؤيته، " فالكنيسة لا تملك الإيمان الحقيقي – إنه يعترف بذلك – أو بالأحرى أنها قد بددت مياه الحياة وذروتها، وتركت ينبوعها الخفاق ينضب ويجف "[١٢٩] حيث تحول الإيمان إلى مبدأ تتحكم فيه النخبة الحاكمة

داخل الكنيسة عن طريق توجيه العامة إلى تعاليم معينة، فيقول: " وبالتالي انحصر كل شيء في أن الإنسان بات يؤمن ليس بالله أو بالمسيح كما أوحي إليه، وإنما بما تأمر به الكنيسة".[١٣٠] وعدَّ تولستوي كل تلك الأسباب من دواعي التوجه نحو إصلاح ديني ينقي المسيحية من شوائبها. وبهذا الإعلان الذي صرح به تولستوي يكون قد بدأ مرحلة الإصلاح الديني الذي كان ينشده، وتأثر بالفكر الإصلاحي الأوروبي الذي كان يسبقه بمراحل زمنية داخل المجتمع الأوروبي، وهذا ما دفع تولستوي ليطرح تساؤلًا حول تمسك العامة بتعاليم الكنيسة رغم فسادها، فيقول: " أجل، إني لا أنكر بأن كثيرين من الفلاسفة وذوي الأفكار الحرة من علماء الأجيال السالفة جاهروا بفساد هاته الخرافات والأضاليل الباطلة، وصرحوا على رؤوس الأشهاد بأن الديانة المسيحية، وما تفرع عنها من الطوائف، كلها إفساد في إفساد، ومن ثمَّ ينبغي وضع ديانة خالصة من أدران المفاسد... ولكن لم يتبعهم أحد، ولم تجد أقوالهم آذانا مصغية، وظل جميع المسيحيين متمسكين بكنائسهم".[١٣١] وعليه فإن في تلك المرحلة قد حاول تولستوي ذرع فكرة الإصلاح الديني الكنسي عن طريق إظهار بطلان المعتقدات الكنيسية وفساد رجال الدين[١٣٢]، وبيان قدم هذا التوجه في كافة الأوساط المجتمعية الأوروبية التي كانت مهد التحكم الكنسي، كما حاول إظهار أن هذا التوجه كان مسار النخبة المتعلمة والدارسة داخل كل المجتمعات التي دعت إلى الإصلاح الديني، ولكن المقاومة دائمًا كانت من العامة غير المدركة لتلك التعاليم، هذا وقد حاول تولستوي إثبات عدم جدوى تلك التعاليم، فيقول: " في الوقت الحالي يفهم أتباع العقائد الكنسية المسيحية كوحي خارق إعجازي يتحدث عن الدين بطريقة رمزية، أما غير المؤمنين فيفهمونها كتجلّ ولى زمانه؛ لحاجة الإنسان إلى الإيمان بالخارق كظاهرة تاريخية تنعكس كليًّا في الكاثوليكية، أو الأرثوذكسية، أو البروتستانتية، لم يعد لها أي قيمة حياتية لنا".[١٣٣] وعليه فقد عدَّ تولستوي جانبًا من التعاليم قائمًا على الخرافات التي لا تقبل، والتي لم يعد لها أي قيمة حقيقة، وهنا يدعو تولستوي أبناء مجتمعه لترك تلك التعاليم، فيقول:" واعتقادي أنه ينبغي على المسيحيين أن ينبذوا هاته الفروع التي لا توصلهم إلى ضالتهم المنشودة، ولا يكون ذلك إلا أن يجاذبوا أصول هاته المعتقدات من تلك الحبة التي هي الأصل الأصيل في ذلك".[١٣٤] وعليه فإن فكرة التعاليم الكنسية التي رأى فيها تولستوي بعدًا عن الحقيقة المنشودة، كان أدعي بالترك والعودة إلى أصول الديانة التي ترتبط بتعاليم المسيح الحقه. كما انتقد تولستوي الكيان الكنسي، وعصمة الكنيسة التي فرضها لها رجال الدين، وعدَّ مفهوم الكنيسة في عصره الراهن مخالفًا لما كان عليه هذا المفهوم وفقًا للأصول المسيحية، فيقول: " لكن المسيح ما كان له على الإطلاق أن يبني كنيسة بالمعنى الذي نفهمه الآن من هذه الكلمة؛ لأن مفهومها مماثل للكنيسة، كالتي نعرفها في الوقت الراهن، مع الأسرار .. والأهم تأكيدها لعصمتها، لم يتضمن في أقوال المسيح، ولا في أذهان أناس ذلك الزمان".[١٣٥] وعليه فقد رفض تولستوي الكيان الكنسي القائم على عصمة الكنيسة وعصمة رجالها، وعدَّه مخالفًا لمفهوم الكنيسة في عصر المسيح والعصور الأولى للمسيحية، وعدَّ عمل الكنيسة منحصرًا في تعاليم بالية لا أحد يؤمن بها، فيقول :" يتلخص عمل

هذه الكنيسة في تلقين الشعب الروسي المكون من ١٠٠ مليون نسمة–بشتى الوسائل الممكنة– تلك العقائد المتخلفة والبالية التي لم يعد لها مبرر على الإطلاق في الوقت الراهن... والتي لم يعد أحد يؤمن بها تقريبًا الآن، بمن فيهم أولئك الذين يقع على عاتقهم واجب نشر هذه العقائد الباطلة".[١٣٦] وعليه فمع رفض تولستوي للسلطة الدينية للكنيسة، ورفض وصاية رجال الدين على العامة، من خلال فرض عصمة الكنيسة ورجالها، تكون أول مرحلة الإصلاح الديني التولستي قد ظهرت على ساحة الفكر الروسي.

وعلى الرغم من تأثر تولستوي بحركة إصلاح لوثر التي وقف فيها في وجه تعاليم الكنيسة وخاصة صكوك الغفران، وفساد رجال الدين، إلا أن فكرة تولستوي كانت أعم من لوثر، حيث نظر تولستوي لكافة التعاليم الكنسية، وربط بينها وبين أصولها التي جاءت عن طريق المسيح، ورفض كافة التعاليم التي مزجت بمعتقدات رجال الدين التي حاولت الكنيسة فرضها كمبدأ إيماني أصيل في معتقد العامة.

وعلى هذا كله يمكن القول: إن موقف تولستوي من الدين قد تحدد بعد عودته إلى الإيمان، عن طريق البحث والنظر في التعاليم الدينية التي وجد فيها ضلالًا وبطلانًا، وبحث في الخلافات بين الطوائف المسيحية من خلال عقائدها، وانتهى لعدم وجود كنيسة مسيحية حقًّا، وهنا بدأ في حركة إصلاحه الديني مستعينا بمواقف من سبقوه، وكانت أولى خطواته الدعوة إلى ترك التعاليم التي لا ترتبط بالأصول التي جاء بها المسيح، والتي أطلق عليها لفظ الفروع المخالفة لأصولها.

المطلب الثالث: نقد الكتاب المقدس:

ظلت حركة تولستوي الفكرية نحو الإصلاح الديني ماضية في طريقها، حيث خطا خطوة أخرى نحو رؤيته للإصلاح الديني، فبعد رفض تولستوي للتعاليم الكنسية واعتبارها بعيدة كل البعد عن تعاليم المسيح، أخذ تولستوي يوجه سهام نقده للأناجيل والكتاب المقدس بوجه عام، وتعد حركة النقد من الحركات التي ظهرت على ساحة الفكر الأوروبي، وقد تأثر بها تولستوي بشكل مباشر أو غير مباشر، حيث " ظل الكتاب المقدس في أوروبا مرجعية مقدسة لا تقبل النقاش ولا النقد منذ اعتماده في مجمع نيقية عام ٣٢٥م وحتى طلائع عصر النهضة، إلى أن أتيحت الفرصة للأوروبيين بالاطلاع عليه ودراسته كواحدة من نتائج حركة الإصلاح الديني".[١٣٧] وعليه فقد بدأت تلك الحركة في الظهور بعد محاولات بعض الناس ترجمة الكتاب المقدس وعرضه للأوروبيين، وهذا النهج قد انتهجه تولستوي مع الكنيسة في روسيا، وانتقد موقف الكنائس من مطالعة الأناجيل بقوله: " إن الكنيسة تحرم على أتباعها مطالعة الأناجيل والبحث في قوانينها، وهو تمادي في المغالطة لا يغتفر لجميع الكنائس الآخذة بالتقاليد والتعاليم المتخالفة".[١٣٨] وعليه فكانت رؤية تولستوي هي إتاحة الفرصة أمام الجميع لمطالعة الأناجيل، وفتح المجال أمام تناولها بالبحث والدراسة، فيقول:" إن عدم إباحة الكنيسة لأتباعها مطالعة الإنجيل أولًا، وعدم

تناول البحث في تأليفها الدينية ثانيًا، بدعوى أن ذلك يؤدي بهم إلى تشويش الذهن واضطراب الفكر قد يوقعهم في الريبة، وهو ادعاء منبوذ ساقط".[١٣٩] وعليه فإن رؤية تولستوي نحو الإصلاح كانت ترتكز على مطالعة الكتاب المقدس وإتاحة الفرصة أمام الجميع لتناوله في أبحاثهم، وعليه فقد تناول تولستوي الأناجيل بالبحث والدراسة.

وقد مرت حركة نقد الكتاب المقدس بعدة أطوار تحمل القوة والانتشار أو الضعف والانحصار، حيث تمتد جذور تلك الحركة عبر التاريخ فتصل إلى مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي دخلت في نقاش فكري مع اليهود حول العقل والنقل وأيهما يسبق الآخر.[١٤٠] كما كان لعلماء المسلمين دور فعال في نقد الكتاب المقدس، ممتد عبر التاريخ الإسلامي، يصل إلى القرن التاسع الميلادي، حيث كان للمؤلف اليهودي " حيوي البلخي " دور بارز في نقد العهد القديم، وتوالت بعده المؤلفات بشكل متفرق.[١٤١] وقد كان لكتابات ابن حزم الأندلسي[١٤٢] جانب مهم في نقد الكتاب المقدس، من خلال كتابه الفصل بين الملل والأهواء والنحل، تعرَّض فيه لمختلف الفرق الإسلامية والديانة اليهودية والنصرانية.[١٤٣] واستمرت حركة النقد للكتاب المقدس في الغرب، لتنشط مع القرن السابع عشر الميلادي حيث قدم اسبينوزا [١٤٤] نقدًا شاملًا للكتاب المقدس في كتابه " رسالة في اللاهوت والسياسة"، كما كان لتوماس هوبز[١٤٥] دور فعال في نقد الكتاب المقدس، حيث ضمَّن العديد من مؤلفاته نقدًا صريحًا لأسفار الكتاب المقدس، مثل كتاب " المادة والسلطة الحاكمة ، ثم يحمل فولتير[١٤٦] لواء النقد في القرن الثامن عشر[١٤٧] لتظهر حركة مكتملة الأركان في نقد الكتاب المقدس يستفيد منها تولستوي، حيث بدأ تولستوي في نقده لمتن الكتاب المقدس، فبعد نقد تولستوي لفكرة التعاليم التي وضعت عن طريق رجال الدين، والتي تبعد عن تعاليم المسيح الأصلية، أخذ بنقد تلك النصوص، فقال: " ولا يخفى أن جميع ما تعطيه الكنيسة من التعاليم الخاصة بابن الله، والله، وكونه ثلاثة أقانيم، والعذراء التي ولدت ابنًا دون أن تفسد عذارتها، ثم الخاصة بالخبز والخمر اللذين يستحيلان فعلًا إلى جسد ودم الله، ويتناولها المسيحيون على هذا الاعتقاد؛ غير معقول ولا محسوس".[١٤٨] وعلى هذا فإن تولستوي قد أخضع نصوص الكتاب المقدس وتعاليمه لمبدأ العقل، وحكم عليها من الناحية العقلية، ولعلَّ نظرة تولستوي لتلك التعاليم بمنظور عقلي تتوافق مع المنهج الذي كان سائدًا في عصر التنوير، " حيث كانت الحرب على المسيحية وطقوسها وأصولها ترافق ذلك مع اهتمام ذلك العصر بالمنهج، أي الاهتمام بالطريقة التي ينبغي أن يتبعها الإنسان في بحثه عن الحقيقة، فأصبحت تطرح الأسئلة حول كل شيء حتى الدين".[١٤٩] وعليه فإن تولستوي كان متأثرًا بالحركة العقلية التي أعطت للعقل مجاله في البحث والدراسة حتى في الجوانب الدينية، وأصبحت التعاليم العقائدية تطرح على العقل، بعد أن كان العقل ممنوعًا عليه النظر والبحث فيها. ومن ذلك تساءل بعض الناس عما إذا كان الإنسان بواسطة العقل وحده يستطيع البرهنة على وجود الله، وأن يكتشف قوانين الأخلاق، فعندئذ أي نفع يمكن لنا أن نجنيه من تلك الأساطير اليهودية القديمة".[١٥٠] وعليه فإن حركة تولستوي الإصلاحية كانت متوافقة مع الفكر التنويري الذي فرض نفسه على المجتمع الأوربي. وعليه فإن إعمال العقل في

التعاليم الكنسية الواردة في الكتاب المقدس أعطي تولستوي انطباعًا " أنه قد دخل على الكنيسة من المعتقدات ما لا حصر له، ولا يمكن أن يقرر منه الإنسان معتقدًا واحدًا؛ لأنه يتضمن لعقائد متعددة تناقض بعضها بعضًا".[١٥١] وعليه فإن التناقضات التي أشار إليها تولستوي في تلك العقائد فتحت الباب أمام يقينية فكرته بأن تعاليم الكتاب المقدس وضعت من قبل رجال الدين، وليس ثمة اتصال بينها وبين السيد المسيح، ولذا يقول:" فإذا احتشدت في كلام الإله الخرافات والتعاليم المستحيلة، فإن العلم ينبذ ذلك كما نبذ تعاليم الآلهة الوثنية الكثيرة، وحاشا لله الحقيقي أن يوحي بشيء غامض فوق عقول البشر".[١٥٢] وعلى هذا النص فإن تولستوي ربط بين نفي صلة تعاليم الكتاب المقدس بالله، وبين وجود خرافات ينفيها العلم ولا يتقبلها العقل، ولا يكون هذا الصنيع من الله الذي خلق عقول البشر، ووهبها ذلك الإدراك. وهذا ما نقلته الدراسات الحديثة والمعاصرة التي أوضحها بولتمان[١٥٣] بقوله: " المسيحية ظاهرة مركبة نموها، وتطورها، والشكل الذي أخذته قد صبغ وطبع بالقوى الروحية للهيلنية الوثنية، التي من جهتها تعتبر حافظة إرث التاريخ الروحي اليوناني، لكن في نفس الوقت تأثرت وتغذت بديانات الشرق الأدنى"[١٥٤] وعليه فإن نظرة المجتمع الأوروبي لمسألة الأساطير والخرافات داخل الكتاب المقدس، كانت متوفرة لدى كثير من الباحثين، حتى وإن تأخروا عن تولستوي بعض الوقت.

هذا ويعد نقض تولستوي لهذا الجانب من باب نقد التنقيح، [١٥٥] وهو الذي ظهر بصورة كبيرة وبشكل أوضح في منتصف القرن العشرين، لكن تولستوي يعد ممن أشار إلى هذا المنهج النقدي، ولكنه لم يأخذ شكلًا أوضح في كتابات تولستوي، ويعد " ويلي ماركس [١٥٦] أول من استخدم مصطلح نقد التنقيح في كتابه " مرقص الإنجيلي "، حيث أخذ يستقصي إسهامات مرقص في الإنجيل، ويدرس إطار حياته للتحقيق من هدفه ووجهة نظره في كتابة إنجيله".[١٥٧] وعلى هذا فإن تولستوي قد أشار إلى نقد التنقيح في كتاباته عن الكتاب المقدس، لكنه لم يأخذ الشكل المنهجي الذي ظهر بعد ذلك، وهو يعد من قبيل النقد الشكلي الذي يتناول التحليل الأدبي للكتاب المقدس.

هذا وقد نقد تولستوي موقف الكنيسة من كتب العهد القديم فيقول:" والكنيسة قد أخطأت خطأً عظيمًا باعتبارها كتب العهد القديم كتبًا موحي بها من الله كاعتبارها للإنجيل أو العهد الجديد".[١٥٨] وعليه فإن تولستوي رفض فكرة قدسية كتب العهد القديم ورفض كونها كتب موحى بها من عند الله حيث كان يعتبرها كتبًا تاريخية معبرة عن فترة زمنية معينة.

كما يضيف تولستوي وجهًا آخر من وجوه نقده للكتاب المقدس، فأخذ يطعن في مسألة حصر الكتب الإيمانية المعترف بها لدى الكنيسة، فيقول: " أما وحي الله فقد هبط على أرواح أفراد من الناس ذوي القوى الفياضة الذين نشروه وعلموه للأمة الموحى به إليها فحفظته، وقام البعض من أفرادها يكتب ما علق بذاكرته من

ذلك الوحي، فكتب الآخرون تلك الكتب واعتبروها منزلة موحى بها من الله، وقد حصر بعضهم عدد ما كتب منها، فبلغ ما ينيف عن المائة بين إنجيل ورسالة، ولم تعتبرها الكنيسة كلها كتب منزلة، بل اختارت منها سبعة وعشرين كتابًا وأطلقت عليها اسم الكتب القانونية. ولا ندري السر في اختيارها لهذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على غيره، واعتباره مقدسًا منزلًا دون سواه".[١٥٩] وعلى هذا النص فإن تولستوي وجه نقده إلى سند الكتاب المقدس، عن طريق طرح تساؤل في سبب اختيار بعض الكتب وإعطائها صفة القدسية دون غيرها من باقي الكتب، مع أنها جميعا جاءت من مصدر واحد، كُتب في غير وقت الوحي، واعتمد على ذاكرة كل كاتب. إن هذا التساؤل الذي طرحه تولستوي على الكنيسة جعل الصلة معدومة بين تلك الكتب وبين السيد المسيح، مما يجعل السند فيه انقطاع بين المصدر والمتلقي، وهو انقطاع زمني، فصل فيه بوقت غير محدد المدة، مما يقدح في صلة كل تلك التعاليم بالسيد المسيح، وهذا يدعم فكرة تولستوي بوجود كثير من التعاليم تنسب لرجال الدين الذين نقلوا تلك التعاليم، ولا يمكن أن تضاف لأصول المسيحية أو للسيد المسيح، يقول تولستوي: " إن يسوع المسيح لم يكتب مدة حياته كتابًا... ولكن المسيح كان يعلم البسطاء الجهلاء الذين كان يصادفهم في حياته... وإنما بعد وفاته بزمن طويل أخذ بعض الناس يذكرون أقواله ووجهوا إليها التفاتهم وجعلوا يتناقلونها، وبعد مائة عام كتبوا ما سمعوه عنه، ...وقد فقد منها جزء كبير، وما بقي منها كان في غاية الركاكة، ومما لا يصلح الركون إليه والوثوق بصحته".[١٦٠] وعليه فإن تولستوي قد أنهي القول باعتقاده بعدم صحة سند تلك الأناجيل إلى السيد المسيح نظرًا لطول المدة بين التلقي والكتابة، مما يسمع بإضافة ما ليس فيها، وترك كثير من أصولها نظرًا لظروف الزمان والطبيعة البشرية، وهنا يطرح تولستوي رؤيته للإصلاح الديني في تلك الجزئية، فيقول: " كان يجب على الكنيسة حين اختيارها لتلك الكتب أن تدرسها درسًا مُدققًا، وتحذف منها ما يقود القارئ إلى الانتقاد والشك والارتياب".[١٦١] وعلى الرغم من أن تولستوي قد بين ما يجب على الكنيسة فعله حيال تلك الإشكالية، لكنه وقع في تناقض، حيث أعطى للكنيسة سلطة العصمة في الدراسة والحذف من الكتب المقدسة، وتلك السلطة قد انتقد فيها الكنيسة قبل ذلك، فالعصمة التي منحتها الكنيسة لرجال الدين في إضافة بعض التعاليم لا تختلف عن العصمة التي منحها تولستوي للكنيسة في حذف بعض التعاليم.

وعلى هذا فيمكن اعتبار نقد تولستوي لمسألة الصلة بين كتاب الكتب المقدسة وبين السيد المسيح من باب النقد المصدري، وهو الفرع الذي يحاول تحديد هوية المصادر الأقدم التي مثَّلت المصدر الذي اعتمد عليه مؤلف أسفار الكتب المقدسة،[١٦٢] ويدخل هذا النوع تحت النقد الأدبي الذي يعد آخر أنواع النقد الأدبي ظهورًا، ولعل تولستوي لم يقصد هذا المنهج على شكل التحديد والتخصيص، لكنه أشار إليه بصورة أو بأخرى، من خلال الانتقادات التي وجهها للكتاب المقدس.

هذا وبعد طرح تولستوي لبعض التناقضات التي وردت في المتن والسند المتعلق بالكتب المقدسة دعا تولستوي لعدم قبولها، فقال: "ولذلك لا أنصح الناس بالاعتراف بتلك الكتب"،[١٦٣] ثم بعد ذلك يطرح تولستوي رؤيته الإصلاحية لتلك الكتب المقدسة، فيقول :" وإذا أردنا أن نقرأ الكتب التي تبحث في الدين المسيحي، يجب علينا أولًا أن نعرف أيًا من السبعة وعشرين كتابًا هو المهم المفيد، وإذ ذاك نشرع بدرسه والنظر فيه نظر الناقد الخبير".[١٦٤] وعلى هذا فإن تولستوي جعل النظر في الكتب المقدسة مرتبطًا بنظرة النقد والخبرة، التي تستطيع أن تظهر توافق تلك التعاليم مع أصول المسيحية من عدمه.

وعلى هذا كله نستطيع أن نقول: إن تولستوي استطاع من خلال تقديم سهام نقده إلى الكتب المقدسة أن يدعم فكرته نحو الإصلاح الديني القائم على المراجعة والدراسة لكل جوانب المسيحية، وتنقية كتبها المقدسة من كافة التعاليم والمعتقدات التي تنسب إلى رجال الدين، حيث وجد فيها تولستوي تناقضًا يستوجب إعادة النظر فيها.

المطلب الرابع: توحيد تولستوي:

تعد مسألة التثليث والاعتقاد بألوهية السيد المسيح لبّ الإيمان عند السواد الأعظم من أتباع المسيحية، حيث رسخت تلك العقيدة، وأصبحت أصلًا من الأصول التي تعتمد عليها المسيحية في تعاليمها وعقيدتها، كما كانت أحد أسباب الانقسام بين الطوائف المسيحية التي تفاوتت نظرتها لتلك العقيدة، كما تباينت وجهات نظر تلك الطوائف حول طبيعة التثليث وتواجد الأقانيم الثلاث، حيث كان لكل كنيسة أو طائفة مسيحية وجهتها.

وعند تناول تولستوي لتلك العقيدة نجد أن تولستوي لم يؤمن بتلك العقيدة، وعدَّها أمرًا مخالفًا لما جاء به المسيح نفسه، فيقول:" إن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلهًا دون أن يقيموا على ذلك الحجة، ويستندون في دعواهم على أقوال وردت في خمسة أسفار؛ ... مع أن تلك الأقوال لا تدل على أن المسيح هو الله".[١٦٥] وعلى هذا فإن تولستوي قد عدَّ ألوهية المسيح عقيدة دون دليل تستند إليه، كما عدَّها من أقوال الشراح والمفسرين، وعليه فإن تولستوي ينفي كون هذه العقيدة قد قالها السيد المسيح، وهو تأكيد لفكرته التي أكَّد فيها انقطاع السند بين السيد المسيح وبين كاتب تلك الأسفار. ويعضد كلام تولستوي تلك الدراسات الحديثة التي جاءت داعمة لما ذهب إليه تولستوي قديما، فقد قدم Boismad[١٦٦] بحث في القيم اللاهوتية والعقائد المسيحية المتنوعة خرج فيها بنتائج قال فيها: " بالنسبة للعقائد التي نؤمن بها الآن لم تأت مع ميلاد المسيحية أو في الغد أو عقب صلب المسيح، الحواريون لم يؤمنوا بعد بأن عيسى إله، ولم يكن لديهم مفهوم عن سر التثليث، ولا حتى أن موت سيدهم يحمل قيمة تتصل بفداء أو خلاص، هذا ما أقره اللاهوتيون المعاصرون".[١٦٧] وعليه فإن تيارًا معاصرًا قد سار في الاتجاه الذي أخذه تولستوي من عدم صحة تلك العقيدة وعدم اتصالها بتعاليم السيد المسيح. هذا وقد حاول تولستوي إقامة الدليل العقلي على عدم صحة هذا الاعتقاد، حيث بناه على مسألة التناقضات، وعدم وضوح مدلول

التعاليم الكنسية التي قالها مسبقاً في نقده للكنيسة وتعالميها، فأخذ يقول:" إن تعاليم الإله الذي نزل على الأرض لا يمكن أن تكون متناقضة، فإذا كان الإله نزل إلى الأرض ليظهر الحقيقة للناس، فأقل شيء يطلب منه عند كشفه تلك الحقيقة أن تكون مفهومة لدى الجميع، فإذا لم يستطع ذلك فإنه ليس بإله..."[١٦٨] وعلى هذا فإن تولستوي يعتمد على تناقض تلك التعاليم التي وضعها شراح العقيدة المسيحية في إقامة الحجة العقلية على عدم صحة اعتقادهم بألوهية المسيح. ولعل هذا الاتجاه قد ساد في الغرب، حيث أكد الباحثون الغربيون على أن العقائد التي اعتمدتها الكنائس وعملت بها وعدتها صلب الاعتقاد المسيحي لا علاقة لها بالسيد ولا بتعاليم المسيحية الحقة؛ لأنه " لو تأملنا الكنيسة والمسيحية في مقتبل القرن الرابع، فإنه يتعذر علينا أن نجد صورة من صور مجتمع الحواريين، أو إذا أردنا الحق يستحيل علينا ذلك".[١٦٩] وعليه فإن إضافة تلك العقيدة إلى السيد المسيح، أو حتى القرون الأولى أصبح من الأخطاء التاريخية التي وجهت كنقد للكتب المقدس.

هذا وقد حاول تولستوي إظهار الخطأ التي وقع فيه رجال الدين الكنسي حينما فسروا كلمات على غير مدلولها الحقيقي، حيث أضافوا لفظ " ابن الله " إلى السيد المسيح وخصصوه له، مع أنه أمر عام لكافة الناس، فيقول: " لفظة ابن الله التي تدعو الكنيسة بها يسوع المسيح وتخصه بهذا النعت دون سواه من الناس، مع أنها في الحقيقة ونفس الأمر مختصة بجميع الناس على السواء، وذلك واضح ... ومصرح به في كثير من مواضع الإنجيل".[١٧٠] وعلى هذا فقد حاول تولستوي بيان أن لفظ " ابن الله " قد صحف واستخدم على وجه الخصوص للسيد المسيح وهذا خطأ ساقه شراح الأناجيل مما خلق حالة من اللبس تحولت مع الزمن إلى عقيدة الألوهية والتثليث. وقد ساق تولستوي العديد من الآيات التي تدعم وجهة نظره، والتي منها: " فليضيء نوركم هكذا بين الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجد أباكم الذي في السموات".[١٧١] وهذا خطاب السيد المسيح لشعبه، وقد استخدم لفظ البنوة هنا للشعب، مما يدفع بكون هذه الكلمة لم تكن خاصة به. هذا وساق تولستوي العديد من الآيات التي تدعم قوله،[١٧٢] ثم بين تولستوي أن" المسيح نفسه سمى نفسه " ابن الله " من جهة التعميم ،كما يمسى تلاميذه وسائر الناس أبناء الله ... ورد مثل ذلك كثير من مواضع الإنجيل، مما يدل على أن جميع الناس هم أبناء الله، وقد جاء في انجيل لوقا بأعظم صراحة أن كل إنسان هو ابن الله، وأن يسوع ليس مختصا بتلك التسمية"،[١٧٣] وعلى هذا فإن تولستوي بيّن الخطأ الذي وقع فيه رجال الدين، حينما خصصوا تلك التسمية بالسيد المسيح، مع أنها أمر عام لجميع الناس، وأن هذا التخصيص هو الذي خلق حالة التشويش لدى العامة، تحولت معه إلى عقيدة ثابته في نفوس العامة أن المسيح هو ابن حقيقي لله.

وبعد بيان تولستوي لبطلان هذا الاعتقاد وإقامة الحجة على الكنيسة أخذ تولستوي يعلن مبدأ التوحيد الذي لا يقبل التثليث، فيقول: " لقد اتخذت الكنيسة ذلك حجة لتأييد دعواها على أن المسيح هو ابن حقيقي لله ... معاذ الله إن هذا إلا ضلال مبين، وافتراء على مقام الله الواحد الصمد المنزَّه عن الشريك"،[١٧٤] وعلى هذا نستطيع أن نقول: إن

تولستوي كان يدين بمبدأ التوحيد الخالص، البعيد عن الشريك أو التعدد، وأنه رفض عقيدة التثليث، وعدَّها من العقائد التي زجَّ بها في المسيحية، ولا تجد صلة بينها وبين المسيح، كما رفض فكرة ألوهية المسيح وكونه ابن الله، وأقام الدلة على بطلان هذا الاعتقاد. " على وجه التحديد ، لم يؤمن تولستوي ، وعلى الأقل منذ الطفولة لم يؤمن أبدًا أن يسوع هو ابن الله بأي معنى مختلف عن ذلك الذي وفقًا له نحن جميعًا أبناء الله "،[١٧٥] وعليه فإن إيمان تولستوي تجاه تلك العقيدة كان ثابتًا حتى في أيام شكه.

هذا وبسبب تلك الأقوال اتُّهم تولستوي بالإلحاد من قبل بعض المفكرين المعاصرين له، فقيل: " لم أستطع أن أصدق أنه ملحد، رغم أني أحسست بذلك. أما الآن، بعد أن سمعته وهو يتحدث عن المسيح، وشاهت عينيه، فإني أعلم بأنه ملحد إلحادًا عميقًا. أليس كذلك؟"[١٧٦] وهذا الانطباع قد اتخذ عن تولستوي بسبب موقفه من الكنيسة وتعاليمها، كما اتخذت الكنيسة ضده موقفًا حادًّا، حيث صدر قرار المجمع بحرمان تولستوي، ففي" ٢٠ فبراير/ شباط سنة ١٩٠١نومر و ٥٥٧ رسالة المجمع المقدس إلى أبناء الكنيسة الأرثوذكسية المؤمنين بخصوص الكونت ليون تولستوي. إن المجمع المقدس لاهتمامه بأبناء الكنيسة الأرثوذكسية، وحفظهم من العثرات المؤدية إلى الهلاك وخلاص الضالين قد أصدر حكماً ضد الكونت تولستوي، وتعاليمه الكاذبة المضادة للمسيح والكنيسة، ووجد مناسبا لحفظ سلام الكنيسة أن ينشر ذلك الحكم في جريدة أخبار الكنيسة..."[١٧٧] وعلى هذا فقد دفع تولستوي ثمن حركته الإصلاحية، ومحاولة دعوته إلى تنقيح المسيحية من الشوائب التي حلت بها عن طريق رجال الدين، حيث أضفوا اليها مالم يثبت عن المسيح أو ينسب إليه.

وعلى هذا كله فإن تولستوي قد دعي لحركة إصلاح ديني داخل المسيحية واتخذ عدة محاور حاول من خلالها الوقوف على جانب الحق في المسيحية، ولكن دعواه قد لقيت قبولًا لدى بعض الناس، واتخذها منهجا له، لكنها لقيت معارضة شديدة لدى الكنيسة التي أثرت على عقول العامة، ورسموا لتولستوي صورة إلحادية تناقلها العامة، مما خلق حالة من الرفض بين أوساطهم لتلك الحركة التي نادى بها تولستوي، وعليه فقد حاول تولستوي استخلاص فكرة دينية جديدة تتلخص في إنجيل جديد يحوي التعاليم التي آمن بها تولستوي، وصدق بمصدرها الإلهي .

المبحث الرابع: رؤية تولستوي للدين وموقفه من الإسلام:

بعد خطوات تولستوي في حركته الإصلاحية الدينية بدأ يتبلور في فكر تولستوي منظور عام تجاه الدين، وما يجب أن يكون عليه الإنجيل بعد فكرة تنقيته من التعاليم التي أثبت تولستوي صلتها برجال الدين الشارحين، وانقطاع الصلة بينها وبين السيد المسيح، وعليه فقد تبني تولستوي هذا الاتجاه في الدين وأصبح لتولستوي رؤية دينية مخالفة لرؤية الكنيسة.

المطلب الأول: مفهوم تولستوي للدين:

وضع تولستوي مفهومه لمصطلح الدين وفق رؤيته الناتجة عن تجاربه الحياتية، التي مرت بأطوار بين المادية والإنسانية، والتي تأثرت بشكل كبير برحلات تولستوي الأوروبية، والتي امتزجت بثقافة عصر النهضة وحركة التنوير وعاصرت حركة الإصلاح الديني الأوروبي، فخلقت حالة من إدراك الوعي لدى تولستوي، والتي انعكست بدورها على موقفه من الأناجيل وتعاليم الكنيسة، وعليه فقد بدأ تولستوي بعد حركته الإصلاحية بوضع مدلول لمصلح الدين جمع فيه نتاج فكرة الناشئ عن خلاصة تلك المرحلة السابقة بكل تفاصيلها.

بدأ تولستوي في بيان مفهومه حول الدين ببيان مفهوم الناس وتوجهاتهم نحو الأديان، فيقول:" كلمة الدين عادة لها ثلاثة معانٍ:

الأول: وهو الأكثر شهرة، تعني فيه الوحي الحقيقي الذي منحه الله للناس، والذي يتمثل في كتاب مقدس، هذا المعني يوصف به الدين من قبل المؤمنين ...

المعنى الثاني للدين: مرتبط بإطار من الخرافات تنتج عبادات خرافية. هذا هو تفسير غير المؤمنين بشكل عام للدين، أو غير المؤمنين بديانة معينة.

المعنى الثالث للدين: أنه عبارة عن قوانين وتشريعات شديدة الأهمية، سُنَّت من قبل بعض الحكماء للجموع الهمجية؛ كي تعمل على طمأنتهم وقمع شهواتهم البهيمية، وقيادتهم. هذا تفسير غير المبالين بالدين... "[١٧٨]

وعلى هذا فإن تولستوي بدأ بيان مفهومه عن الدين عن طريق تحديد توجهات نظر الناس إلى الدين. والحق أنه تقسيم وفق النظرة المحدودة التي تنظر إلى الدين من منظور واحد، حيث الناس وفق تلك الرؤية ثلاثة، صنف المؤمنين وهؤلاء يعتقدون في الدين وكونه نزل من عند الله، ولكن كل أصحاب ديانة تنظر للدين وفق إيمانها بديانتها دون غيرها من الأديان. وعليه فإن صاحب هذا الاعتقاد لا يؤمن إلا بدين واحد وبكيفية معينة، وهو الدين المختص بعقيدته فقط، ولكن هذا ينطبق على أصحاب الدين الإسلامي، حيث يؤمن أصحاب العقيدة الإسلامية بكل الأديان السماوية كما تعد شرطا من صحة الإيمان. وأما الصنف الثاني: وهو ما يمكن اعتبارهم وفق وصف تولستوي أصحاب الرؤيا الإلحادية التي لا تؤمن بوجود الدين وتعدّه خرافة ولا تعتقد بقدسية وصلته بالله، وعليه فإن هذه الفئة التي لا تعتقد بوجود إله لهذا الكون حتى تعتقد بوجود دين. وأما الفئة الثالثة ما نظرت للدين نظرة وضعية على اعتبار أنه وضع لفئة معينة للاستفادة منها والحد من تطلعاتها، ولا أجد فرقًا بين أصحاب الفئة الثانية والثالثة، فكلاهما رفض مبدأ الدين واعتبره أمرًا غير مقدس، سواء وصف على أنه خرافات، أو هو من وضع البشر لفئة معينة. وعليه فيمكن تقسيم نظرة الناس إلى الدين إلى قسمين: مؤمنون بالدين ، وغير مؤمنين

بالدين، أما المؤمنون بالدين ووجوده ، فقد تنوعت رؤاهم تجاه الدين، فمنهم من يرى وجود الدين داخل دور العبادة فقط، وهوما يريد فصل الدين عن باقي نواحي الحياة، ومنهم من يرى بضرورة تطور الدين وفق التطور المجتمعي، ومنهم من يعتقد بأهمية الدين وصلته بكافة نواحي الحياة وارتباطه بكل أفعال الإنسان. أما غير المؤمنين بالدين فتنوعت أفكارهم تجاه رفض كل ما هو مقدس، سواء اعتبر الدين خرافات أو أفيون للشعوب، لكن هم في النهاية تجمعوا صوب رفض كل ما هو خارج نطاق الطبيعة.

هذا وقد عدَّ تولستوي أن تلك التعريفات لم تتطرق إلى جوهر الدين، فيقول:" لم تتطرق التعريفات الثلاثة إلى جوهر الدين، بل إلى إيمان الناس بما يعتقدون أنه دين".[١٧٩] هذا وعند تناول بعض الناس لمفهوم الدين قد ربطوا بين المعنى الاصطلاحي والمعنى واللغوي، حيث عرفه كارل يونغ– الطبيب والفيلسوف الفرنسي – فأخذ يقول: " يمكننا تعريف الدين بالاستناد إلى معنى اللفظ في اللغة اللاتينية (Religion) أنه: عبارة عن حالة من الرقابة والتذكر والارتباط بجملة من العوامل الفاعلة، والتي يستحسن أن نسميها العوامل القسرية".[١٨٠] وعليه فقد كان سمة ربط عند بعض الناس بين المفهوم اللغوي والمفهوم الاصطلاحي، هذا وقد أخذ الدين عدة أشكال في الفلسفات الحديثة تنوعت وفق رؤية كل فلسفة. فهناك من نظر إلى الدين على اعتبار أنه ثمرة ناتجة للالتزام بالمعتقدات والعبادات، فقيل بأنه: "الدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جراء حبها لله، وعبادتها إياه، وطاعتها لأوامره".[١٨١] وهناك من اعتبر الدين هو القيم، سواء كانت روحية، أو مادية فقيل: الدين "هو إيمان بالقيم المطلقة، والعمل بها كالإيمان بالعلم، أو الإيمان بالتقدم، أو الإيمان بالجمال، والإيمان بالإنسانية.."[١٨٢] كما ظهر في الفلسفة الحديثة مصطلح ربط بين الدين والضمير، وعدَّ الدين هو وحي الضمير ونور العقل، وهو مصطلح الدين الطبيعي وهو :" اصطلاح أطلق في القرن الثامن عشر على الاعتقاد بوجود الله وخيرته وبروحانيه النفس وخلودها، وبإلزامية فعل الخير من جهة ما هو ناشئ عن وحي الضمير ونور العقل".[١٨٣] وقد عدَّ تولستوي أن الخوف من الظواهر الطبيعية، والعمل على تأليه تلك الظواهر، هو الدافع الأساسي لدى المثقفين للقبول بفكرة الدين، فيقول: " من المتفق عليه في أوساط غالبية جموع المثقفين المعاصرين أنه الخوف من ظواهر الطبيعة غير المفهومة التي تشكل جوهر كل دين، ومن ثم تجسيدها وتأليه الإنسان لهذه القوى الطبيعية والخضوع لها".[١٨٤] ويبدو أن تولستوي كان متأثرًا بالفكر الطبيعي الذي عاد بالبحث إلى مدار الكون وإخضاع الظواهر إلى العقل، وما عجز عن إدراكها دخل تحت مسمى الدين. لكن كان هناك رؤى مختلفة للدين، حيث عرف الدين عند علماء الاجتماع، وفرق بين الأديان التي تتعلق بالطبيعة وبين الأديان البشرية والأديان السماوية، فعرف الدين بأنه: " مجموعة الأفكار المجردة، والقيم، أو التجارب القادمة من رحم الثقافة. ولذلك فالدين هو رؤية لا غنى عنها في العالم تحكم الأفكار الشخصية والأعمال، والمعتقد الديني يرتبط عادة بالطبيعة، والوجود، وعبادة إله واحد أو آلهة، وإشراك الآلهة في الكون والحياة البشرية، وقد يتعلق ذلك بالقيم والممارسات

التي تنقل من قبل الزعيم الروحي للديانة في بعض الديانات، أما في الديانات الإبراهيمية فمعظم المعتقدات الأساسية قد كشفت من خلال الإله".[١٨٥] وعليه فقد تنوعت نظرة الفلسفة الحديثة تجاه الدين وفق رؤية كل اتجاه من هذه الفلسفات، ولعلها كانت مغايرة عن رؤية العصور الوسطى التي كانت لها دراسات عن الله، ولم تتعمق نحو الرؤيا الشاملة للدين، وهذا ما أشار إليه سبينوزا في حديثه عن المعرفة بقوله:" المعرفة الفطرة هي معرفة إلهية بمعنى الكلمة، هذا ما يجعلنا نسمي الذين يقومون بإنشائها أنبياء، البشر يستطيعون استيعاب تعاليمها دون الاعتماد على الإيمان وحده".[١٨٦] هذا وقد كانت هناك نظرة تطورت على يد كانط،[١٨٧] حين قسم الدين إلى دين طبيعي، ودين منزل، وقد أخضع المسيحية لهذا التقسيم، ونظر إليها بكونها دينًا طبيعيًا وفق بعض تعاليمها، ودينا عالميا منزل وفق بعض التعاليم الأخرى.[١٨٨]

هذا وعلى الرغم من انتقاد تولستوي لأصحاب تلك النظرة التي ربطت بين الدافع على الدين وبين ظواهر الطبيعية، إلا أنه عدَّها وجهة عامة لدى المثقفين، حيث عدَّها القاعدة العامة وهناك بعض الاستثناءات، فيقول :" يقبل مثقفو زماننا هذا الرأي دون فحص أو نقد، ولم يقتصر الأمر على عدم رفض رجال العلم لهذا الرأي، بل لقد وجد الدعم والمساندة من قبل غالبيتهم، وإن ظهرت بينهم بين الحين والآخر أصوات مثل: ماكس مولر،[١٨٩] وآخرين، يرون أن أصل الدين ومعناه ليسا كذلك".[١٩٠] وعلى هذا فإن تولستوي قد رفض الفكر القائم على الربط بين الظواهر وبين الدين، وقد دعم موقف مولر الذي صنف الأساطير وفقًا للغرض الذي هدفت إليه، ولعل نظرة مولر تأثرت بجانب دراسته الشرقية التي اهتمت بعلوم الشرق، حيث ارتكزت الرؤيا الإسلامية للدين بوجه عام على عناصر عرفت بعناصر البناء لمحتوى الدين، والتي تشكل بانضمامها مع بعضها ما يعرف بالدين الإلهي، وهو الدين الذي يرتكز على الوحي الإلهي، وهذه الأصول الثلاثة هي: الحقائق والاعتقادات، وهي من متطلبات الإيمان، ويشكل الإيمان بها أساس التدين. والشريعة والمناسك، وهما القسم الآخر من الدين، وهو يشمل التعاليم المتصلة بكيفية الارتباط بالله تعالى وعبادته... والاخلاقيات، وتشمل التعاليم والإرشادات المتعلقة بمعرفة الفضائل والرذائل[١٩١] هذا وقد اختلفت نظرة العلماء فيما يطلق عليه لفظ الدين، فهناك من عدَّ كل معتقد دين، وآخرون خصصوا معنى الدين بالرسالات السماوية.[١٩٢] وعليه فقد عرف الدين على اعتبار العلاقة بين الخالق والمخلوق، وتلك العلاقة تقوم على تدبير شئون العباد، وتخلق حالة من الرهبة في نفس العبد، ينتج عنها تعظيم هذا الخالق، حيث عرف الدين بأنه: " الاعتقاد بوجود ذات غيبة علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشئون التي تعني الإنسان، وهو اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذوات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد".[١٩٣]وعلى هذا كله فإن هناك من نظر إلى جوهر الدين في تعريفه للدين، ولكن تنوعت تلك الرؤى وفقا للخلفية الفكرية التي تناول على أساسها كل من تصدى لتعريف الدين.

وعلى هذا فقد رفض تولستوي فكرة بناء الدين على الخوف الناتج من قوى الطبيعة، حيث عدَّ أن تلك المرحلة مثلت تاريخًا معينًا من التطور البشري؛ واعتبر الدين حالة داخلية يصعب إدراكها بالعلم أو الثقافة، فيقول: " إن الدين ليس عبادة الآلهة التي يحثها الخوف أمام قوى الطبيعة الغامضة، والذي يشكل مرحلة معينة في تاريخ التطور البشري، لكنه أمر مختلف تمامًا عن الخوف، وعن درجة تعلم الإنسان، أمر لا يمكن لأي درجة من الثقافة والتنوير أن تقضي عليه".[١٩٤] ولعل رؤية تولستوي هنا كانت متوافقة من المنظور الشرقي، خاصة الإسلامي، في النظر إلى الدين خارج إطار الطبيعة، والحالة النفسية التي تطرأ على الإنسان نتيجة عجزه عن فهم قوى الطبيعة والتي عبر عنها بالخوف، حيث كانت النظرة الإسلامية تجاه الدين مرتبطة بالعامل الوجودي النفسي الذي يخلق حالة من الخضوع والتمجيد لله تبارك وتعالى، وقد عدَّ حقيقة كل الأديان السماوية في نظرتها لتلك الحقيقة واحدة. يقول تولستوي: " كل ميتافيزيقا الدين – وكل تعاليمه وعباداته وتعاليمه عن نشوء العالم والكتب المقدسة التي تعبر في أغلب الوقت أنها الدين – لها جوهر واحد، تختلف فقط من النواحي الجغرافية والتاريخية التي تلحق بكل ديانة. ما من ديانة واحدة مِن أسماها إلى أدناها ليس لديها في أساسها تصور عن علاقة الإنسان بالعالم المحيط به ومصدره"[١٩٥] وعلى هذا فإن تولستوي قد أكد على حقيقة أن الأديان تمحو من نفس أتباعها فكرة الخوف المطلق من مظاهر الطبيعة، حيث يرسم الدين علاقة الإنسان بالعالم المحيط به، حيث يستطيع الإنسان من خلال الدين أن يتعرف على نفسه كإنسان، ثم التعرف على غيره من باقي قوى الطبيعة، مما يزيل جانب الرهبة من نفسه تجاه تلك القوى. وعليه فقد اعتبر تولستوي أن العلاقة بين الإنسان والعالم علاقة مركبة يصعب على العلم أو الفلسفة تحديدها، فيقول: " لا يمكن للفلسفة أو العلم أن يحدد علاقة الإنسان بالعالم، والسبب في ذلك هو أن هذه العلاقة لا بد وأن تكون قد تحددت مسبقا قبل أن يبدأ أي علم أو فلسفة في بحث الأمر"،[١٩٦] وعلى هذا فإن تولستوي يخلص من هذا كله بعجز العلم والفلسفة أمام رسم معالم العلاقة بين الإنسان وعالمه المحيط بكل ما فيه، وينتهي إلى أن الدين وحده هو من يستطيع تحديد أبعاد تلك العلاقة وتنظيمها؛ ولذا يقول:" إن الدين هو الذي يؤسس العلاقة بين الإنسان والعالم الأبدي غير المحدود من جهة، وبين الإنسان وخالق هذا العالم ومصدره من جهة أخرى".[١٩٧]

وعلى هذا يمكن القول: إن تولستوي قد ناقش مسألة الدين، وعلاقة الإنسان بعالمه المحيط، واستطاع الخروج خارج دائرة العلمانية المسيحية التي كانت منتشرة في تلك الحقبة الزمنية، والتي اعتمدت على العلم والفلسفة، وحاولت الربط بين علاقة الإنسان بالكون، عن طريق ربطها بالظواهر الطبيعة، ووضع الدين في إطار محدد، لكن تولستوي أظهر العلاقة بين الخالق والمخلوق، والتي عن طريقها يحدد الإنسان علاقته بالكون المحيط به.

المطلب الثاني: إنجيل تولستوي:

بعد تحديد تولستوي مفهومه للدين، وتحديد أهميته في حياة البشر، وكذا عدم القدرة في الاستغناء عنه، وبعد حركة تولستوي الإصلاحية التي حاول فيها تنقيح المسيحة من الشوائب، والتي تمثلت من وجهة نظره في التعاليم التي ألحقها الشراح بالأناجيل، والتي ينقطع سندها بالسيد المسيح، بدأ تولستوي في وضع إنجيل جديد رأى فيه أنها نتاج حركته الإصلاحية، وقد عرف هذا الإنجيل باسم " إنجيل تولستوي".

هذا وقد خلص تولستوي من دراساته حول الديانة المسيحية إلى فلسفة دينية لخصت موقفه من التعاليم الدينية المسيحية مفادها: " إن التعاليم المسيحية التي تستحق أن تكون قاعدة للضمير البشري إنما هي الأناجيل الأربعة فقط: متى[١٩٨]، ومرقص[١٩٩]، ولوقا[٢٠٠]، ويوحنا[٢٠١]، وما سواها فخارج عن الديانة المسيحية الحقيقية."[٢٠٢] وعليه فقد حاول تولستوي استخلاص بعض النصوص من تلك الأناجيل بما يتوافق مع رؤيته حول صحة تلك النصوص، وصلتها بالمسيحية الحقة، وتحقيقها لأهداف السيد المسيح الذي بعث من أجلها.

هذا ولم يعتقد تولستوي بكل ما جاء في الأناجيل الأربعة التي توافق عليها، حيث اقتطف منها ما يتوافق مع مبادئه فتولستوي " لا يعتقد بكل ما ورد فيها – أي الأناجيل الأربعة –، بل يعتقد بالقسم التعليمي اعتقادا شديدا".[٢٠٣] وعليه فقد بدأ تولستوي تأسيس إنجيله الجديد باستبعاد كافة النصوص التي لم يصح نسبتها للسيد المسيح وانقطع السند بها، واكتفي بما صحت نسبتها واتصل سندها، فيقول: " وجوب البحث في تعاليم المسيح بما وصل إلينا منها في الأناجيل الأربعة مما هو منسوب إليه فقط، ثم وجوب رفض رسائل الرسل وتفاسير الكنيسة وإضافتها المختلفة على تعاليم المسيح".[٢٠٤] وعلى هذا فإن تولستوي تناول بالبحث النصوص الواردة في تلك الأناجيل، بحثًا عن مدى صلتها بالسيد المسيح، على اعتبار أن تلك الأناجيل قد دونت في وقت بعيد عن زمن السيد المسيح، حيث ظلت تلك الأناجيل تشكل كلاً طيلة أكثر من قرن، بعد نهاية رسالة المسيح، وليس في وقت سابق . والترجمة المسكونية للتوراة تحدد الوقت الذي منحت فيه الأناجيل الأربعة سمة النص القانوني، بأنه في حوالى سنة ١٧٠"[٢٠٥] وعليه فقد استبعد تولستوي جانبًا ليس بالقليل من النصوص التي وردت داخل الأناجيل الأربعة، وعدَّها غير صحية؛ لعدم اتصالها بالسيد المسيح، فيقول: " إن الشروح التي علقتها الكنيسة على تعاليم المسيح وشروح الرسل، مع الإضافة التي أدخلها عليها آباء الكنيسة في المجامع كلها هذيان، وبهتان، وكذب محض".[٢٠٦] حيث عدَّ تولستوي كافة الشروح التي تتناول أجزاء غير مهمة لحياة البشر أمرًا بعيدًا عن المسيحية وتعاليم المسيح، فيقول: " ما الفائدة من معرفة أن المسيح خرج لقضاء حاجته؟ ما الذي يهمني أنه قد قام؟ فقام – وماذا في ذلك !جيد له !بالنسبة لي ، فإن السؤال المهم هو ماذا عليَّ أن أفعل ، وكيف سأعيش ".[٢٠٧] وعليه فإن إنجيل تولستوي هو تلخيص لتلك الأناجيل الأربعة وفقًا لرؤيته في استبعاد الشروح التي حكم عليها بعدم الصحة،

وعليه فإن تولستوي استطاع أن يلخص " الأناجيل الأربعة في اثني عشر فصلًا مرتبطة ببعضها ارتباط حلقات السلسة، ضمنتها جميع تعاليم المسيح وروح كلامه".[٢٠٨] وعليه فإن تولستوي قد اعتمد على بحثه حول تلك النصوص، ووضع معيارًا ثابتا لتلك النصوص، كونها من تعاليم المسيح، وروح كلامه، بما يتوافق مع رؤيته للمسيحية،" فتولستوي المفكر هو نفسه المتحدث باسم مسيحية "يسوع" الجديدة والحقيقية والمتحررة، وهي مسيحية تستند إلى ما قاله يسوع في الواقع، وليس على أساطير حول حياته، وموته، وأفعاله الخارقة".[٢٠٩] وعليه فإن تولستوي قد عمد إلى تنقية الأناجيل من كافة الأساطير التي شملتها ، واكتفي بتعاليم المسيح التي وجد فيها توافق مع روح المسيحية. ويتكون إنجيل تولستوي من اثني عشر فصلًا، ابتدأ الفصل الأول بعنوان: " ابن الله (أبانا) (الإنسان – ابن الله – ضعيف بالجسد قوي بالروح)، ثم الفصل الثاني بعنوان: " ولذلك يتحتم على الإنسان ألا يشتغل للجسد بل للروح (الذي في السموات)، والفصل الثالث بعنوان: " من روح الآب صدرت حياة جميع الناس (ليتقدس اسمك)....[٢١٠]

هذا وقد أورد تولستوي في إنجيله التعاليم المسيحية التي توافق رؤيته حول تلك النصوص، ومنها:

" إن الإنسان هو ابن الله الأزلي الذي لا بداية له ولا نهاية، أو بعبارة أخرى: ابن الله بالروح وليس بالجسد"[٢١١] وقد استشهد تولستوي على هذا المبدأ بالنصوص" بشارة يسوع المسيح ابن الله "[٢١٢] " إن تلك البشارة الحسنة تتضمن أن الناس المعتقدين بأنهم أبناء الله ينالون الحياة الصالحة"[٢١٣] وغيرها من النصوص[٢١٤] وعلى هذا فإن تولستوي يدعم فكرته السابقة التي أشرنا إليها أن لفظ ابن الله هو لفظ عام لكل البشر، ولا يختص بالمسيح دون غيره، كما يؤكد تولستوي على تأكد بشرية المسيح، وأن البنوة هنا هي بنوة الروح، وهي عامة لكل بني آدم، وهذا المبدأ الذي دعمه تولستوي في إنجيله يتماشى مع النص القرآني " فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ"[٢١٥] وفي الآية ما يفيد الاتصال بين الخالق والمخلوق عن طريق الروح، يقول القرطبي:" فإذا سويته (أي سويت خلقه وصورته) .ونفخت فيه من روحي (النفخ إجراء الريح في الشيء، والروح جسم لطيف، أجرى الله العادة بأن يخلق الحياة في البدن مع ذلك الجسم. وحقيقته إضافة خلق إلى خالق، فالروح خلق من خلقه أضافه إلى نفسه تشريفًا، وتكريمًا، .... فقعوا له ساجدين: (أي خروا له ساجدين. وهو سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة".[٢١٦] وعليه فإن الصلة بين الخالق والمخلوق صلة روحية لا جسدية.

هذا وعند حديث تولستوي عند بداية المسيح الأولى في الفصل الأول من إنجيله، نجده يضع قصةً لميلاد السيد المسيح، مخالفة لما جاء في الإنجيل، فيقول: " يسوع المسيح كان ابناً لأب، وإذا لم يكن يعرف من هو والده دعا نفسه ابن الله منذ صباه"[٢١٧] ويحاول تولستوي أن يستدل على كلامه بنصوص الإنجيل، ومنها: " أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا، كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، ولكن قبل أن يعزما على العيشة كما يعيش الرجل مع

زوجته ظهرت مريم حبلى"[٢١٨] " ويوسف كان رجلًا بارًا، فلم يشأ أن يجلب عليها العار ويشهر أمرها، بل إنه قبلها كزوجة، ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، ودَعَته يسوع".[٢١٩] وعلى هذا فأن تولستوي بهذا التفسير قد وقع في المحذور الذي استنكره على شراح العهد القديم، واستبعد بسببه كثيرًا من النصوص نظرًا لكونها تعبر عن وجهة نظر كاتبيها، وهي بعيدة عن المسيحية، وتولستوي قد استخرج من النصوص ما ليس فيها، وعليه فقد أضاف إليها مالم تقله، وهذا المبدأ الذي أضافه تولستوي في إنجيله قد خالف نصوص القرآن كذلك، حيث جاءت قصة عيسى عليه السلام متحدثة عن براءة السيدة مريم، فقال تعالى" وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ"[٢٢٠] وقال تعالي: قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا"[٢٢١] وعليه فقد بيَّن تبارك وتعالى طريقة خلق عيسى، وهي التي كان آية للعالمين، وبين براءة مريم مما حاول قومها رميها به.

وعلى هذا فإن تولستوي قد أخرج إنجيله بمجموعة من النصوص المختصرة من الأناجيل الأربعة، وقد حاول تولستوي أن ينقي تعاليم إنجيله من أخطاء شراح الأناجيل، لكنّه لم يسلم من ذلك فأصاب إنجيله بعض ما وقع فيه شراح الأناجيل، لكن هذا لا يمنع كون تولستوي استطاع أن ينقي الأناجيل من كثير من النصوص التي أصابها العوار، سواء من ناحية النص، أو من ناحية السند.

المبحث الثالث: موقف تولستوي من النبي محمد:

يتجلى موقف تولستوي، كمفكر منصف وباحث مدقق عن الحقيقة، وكيفية الوصل إلى حقائق الأشياء، من موقفه من النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد تجلت مكانة تولستوي العالمية، ليس من كونه أديب فحسب " بل بصفته مفكراً كبيراً تطرق في فكرة إلى العديد من القضايا الإنسانية العامة والخاصة. ولقب تولستوي بالعديد من الألقاب ربما كان أصدقها وصفا له " إنسان الإنسانية" "[٢٢٢] .

هذا وقد أقبل تولستوي على دراسة العديد من الأديان وقد تبوأ الإسلام مكانة مرموقة بين الأديان التي تناولها تولستوي بالدراسة، ويشير تولستوي إلى ذلك بقوله ": كنت أدرس البوذية، ورسالة محمد من خلال الكتب، أما المسيحية فمن خلال الكتب والناس الأحياء المحيطين بي" [٢٢٣] وعليه فإن تولستوي قد أهتم بدراسة الديانات الأخرى، سواء كانت وضعية أم سماوية، فقد تناول البوذية و تناول الإسلام بالبحث والدراسة، من خلال الكتب التي أتيحت لتولستوي " وقد احتوت مكتبة تولستوي الشخصية على العديد من المراجع التي تتناول الإسلام بالشرح والتفسير"[٢٢٤] هذا وقد كان توجه تولستوي نحو الإسلام بالدراسة توجه مفكر معتدل الدراسات والأبحاث، في ظل انتشار الدراسات الاستشرافية الروسية في تلك الفترة الزمنية، حيث " تذكر المصادر التاريخية أن الخطوات الأولى

للاستشراق في روسيا قد بدأت في الربع الأول من القرن الثامن عشر"[٢٢٥] لكن ظلت حركة الاستشراق الروسي ضعيفة تتحسس خطواتها من الاستشراق الأوربي لكن مع مرور الوقت بدأ الاستشراق يأخذ مكانته داخل المجتمع الروسي، حيث " قوي الاهتمام بالاستشراق في روسيا في بداية القرن التاسع عشر حينما أنشأت بعض الجامعات الروسية كراس للغة العربية ومن هذه الجامعات جامعة قازان وجامعة موسكو وجامعة بطرس بورغ وغيرها"[٢٢٦] وعليه فقد أصبح الاستشراق الروسي ذو مكانة داخل المجتمع الروسي وله شخصيته المستقلة عن الاستشراق الأوربي، وعلى الرغم من اختلاف أهداف المستشرقين في دراساتهم للشرق، وعلى ارغم من وجود بعض المعادين للشرق وعلومه ودياناته، إلا أن الاستشراق الروسي كان أقل حدة من الاستشراق الأوبي، حيث غلبت عليه الموضوعية، " فالاستشراق الروسي في دراسته للشرق العربي الإسلامي كان ذا طابع موضوعي، فنظر إلى ثقافات الشعوب الأخرى نظرة مساواة، ومن منطلق المعرفة الإنسانية ومن ميزاته أنه لم يعامل بإذراء ثقافات الشعوب الشرقية المسلمة ولم يمارس عليها الوصاية أو الهيمنة"[٢٢٧]

هذا وقد اهتم تولستوي بدراسة الفكر الشرقي وفلسفته في إطار مطالعته لدروب الفكر المختلفة التي كان يبحث فيها عن مفهوم المفكرين لمغزى الحياة، وهو السؤال الذي شغل تولستوي لوقت طويل، " غير أن الاهتمام الرئيسي بالشرق يرتبط عند تولستوي بالأديان، فقد آمن تولستوي بأصالة الفكر الديني النابع من الشرق" [٢٢٨] وعليه فقد اهتم تولستوي بدراسة الدين الإسلامي، دراسة المنصف المحق في دراسته، " حيث " استحوذت معاني القرآن الكريم على اهتمام تولستوي، كما استأثرت أحاديث الرسول بحبه وعنايته، سيما وأته وجد فيها صدي للكثير من أفكاره التي كان يؤمن بها ويدعو إليها، ومن ثم وجد لزاما عليه التعريف بالإسلام"[٢٢٩] وكان نتاج تلك الدراسة كتاب أخرجه تولستوي للمجتمع الروسي عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – حمل عنوان " أحاديث مأثورة لمحمد" وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية وحمل عنوان " حِكَم النبي محمد " وقد كتب تولستوي في مقدمة كتابه عن النبي – صلى الله عليه وسلم معرفا به وبدعوته فقال :" ولد النبي محمد في بلاد العرب سنة ٥٧٠ بعد ميلاد المسيح ...وخلاصة هذه الديانة التي نادي بها محمد هي: أن الله واحد لا إله إلا هو؛ ولذلك لا يجوز عبادة أرباب كثيرة، وأن الله رحيم عادل، وأن مصير الإنسان النهائي متوقف على الإنسان نفسه.."[٢٣٠] وعليه فإن تلك المعتقدات التي نقلها تولستوي عن الدين الإسلامي، تتوافق بشكل كبير مع أفكاره التي طرها حول الدين، والتي حاول من خلالها صياغة إنجيله وفق رؤية محددها وضعها تولستوي في إصلاحه الديني. هذا وقد حاول مترجم الكتاب من خلال تقديمه له، أن يبرز الأسباب التي حملت تولستوي على كتابة هذا الكتاب، وقد لخص المترجم الدافع الذي حمل تولستوي على كتابه، هي جرأة تولستوي ودفاعه عن الحق ومحاولة دفع تحامل المبشرين الروس على الإسلام ونبيه فيقول :" رأي الفيلسوف تحامل جمعيات المبشرين في قازان من أعمال روسيا على الدين الإسلامي، ونسبتها إلى صاحب الشريعة الإسلامية أمور تنافى الحقيقة ... فهزته الغيرة على الحق إلى وضع

رسالة صغيرة اختار فيه أحاديث من أحاديث النبي محمد – عليه الصلاة والسلام – كرها بعد مقدمة جليلة الشأن"[٢٣١] ومع التوافق التام الذي قاله " قبعين " في مقدمته، وخاصة أنه يتوافق مع شخصية تولستوي، إلا أنه لا يمكن حمل دافع تولستوي لهذه الرسالة على هذا السبب منفردا، فشخصية تولستوي، المجددة والمصلحة، والتي بطبعها ثائرة على كل مخالف لما تؤمن به، ما كانت لتقدم على هذه الرسالة، إلا بعد دراسة فاحصة، واقتناع تام بمبادئ الإسلام، والتي تتوافق بشكل كبير مع معتقدات تولستوي ونظرته للدين. حيث " بلغ إعجاب تولستوي بسيرة الرسول حداً كبيراً جعله يفكر في إعداد طبعات شعبية لكتاب يتناول حياة النبي"[٢٣٢]

هذا وقد قدم تولستوي لحياة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وتوافقها مع تعاليم الإسلام، والدعوة إلى الزهد وعفة اللسان، والعمل والاجتهاد، فيقول: " وقد امتاز المؤمنون كثيرا عن العرب بتواضعهم، وزهدهم في الدنيا وحب العمل والقناعة، وبذل جهدهم لمساعدة إخوانهم في الإيمان لدى حلول المصائب بهم" [٢٣٣] وعليه فقد أصل تولستوي في رسالته عن الإسلام والنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لكثير من العقائد والتعاليم والأخلاق التي حملها للناس دعوة النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وهذا التقديم من تولستوي لن يكون إلا بعد دراسة فاحصة لتعاليم الدين الإسلامي ومعتقداته، وحياة نبيه. حيث " فكر تولستوي في " إعداد كتيب مختصر عن سيرة الرسول وأعماله لأطفال الروس"[٢٣٤]هذا وقد ساق تولستوي بعض من أحاديث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – وقد اختار تولستوي هذه الأحاديث وعربها إلى الروسية، بعد دراستها لبيان مكانة الإسلام ونبي الإسلام، وقد اكتفي المترجم ببعض الأحاديث، وحذف البعض منها، " وهكذا نجد أن ترجمة سليم قبعين لكتاب تولستوي " أحاديث مأثورة لمحمد" لا تعد تعبيرا مكتملا لكتاب تولستوي في أصله الروسي، فقد حذف المترجم نصف الأحاديث التي قدمها تولستوي"[٢٣٥] وعليه فقد نقل في النسخة العربية جزء من الأحاديث التي تناولها تولستوي في رسالته، ومن هذه الأحاديث التي ذكرها تولستوي " اللهم ارزقني حبك، وحب من ينفني حبه عندك [٢٣٦]، انصر اخاك ظالما أو مظلوما [٢٣٧]..، من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا.[٢٣٨]..، اللهم أحيني مسكينا، وتوفني مسكينا،[٢٣٩].... لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[٢٤٠]، حفت الجنة بالمكاره، والنار بالشهوات،[٢٤١] الحلال بين والحرام بين[٢٤٢] ...."[٢٤٣] وغيرها من الأحاديث التي ساقها تولستوي في كتابه، والملاحظ على الأحاديث التي ساقها تولستوي أنها تتناول جانب العبادات وجانب الأخلاق والقيم الإنسانية والمعاملات الطيبة التي حاول الإسلام نشرها داخل المجتمع، وهذه الأحاديث تتوافق مع أفكار تولستوي التي حاول نشرها والترويج لها، بل كانت تمثل لب دعوته في إنجيله الذي كتبه، وهذا يعكس رؤية تولستوي للدين، حيث كان يري فيه، جانب الإرشاد الذي يستطيع الفرد من خلاله تحديد علاقته بكافة الأطراف المحيطة به، فالدين هو المرشد والموجه للمعاملات والعلاقات الاجتماعية' فالدين عند تولستوي يمثل " أكبر وأفضل عامل في تربية الإنسان، وأعظم قوة للتنوير لأن جوهر الدين خالد، وفريد يعمر على السواء قلب الإنسان في كل مكان، إنما فقط يشعر

القلب ويخفق"[٢٤٤] وعليه فقد كانت أفكار تولستوي دافع له لدراسة الأديان الأخرى، وكان من بينها الإسلام والذي نال مكانة كبرى عند تولستوي، نظرا لتوافق مبادئه وتعاليمه مع أفكار تولستوي التي اعتنقها ودافع عنها، وبعد تلك الدراسة خلص تولستوي استنتاج عام قال فيه " تشير كل أبحاثنا إلى الأساس الواحد لكل الأديان العظيمة ... ففي عمق كل الديانات ينساب تيار حقيقة واحدة خالده"[٢٤٥] وعلى هذا كله يمكن القول أن تولستوي درس الأديان ووقف مع ما يتوافق مع فكره واعتقاده، حيث وقف مع الإسلام وبين سماحته وأخلاقه من خلال سيرة نبيه، وساق من الأحاديث ما يدعم توجه نحو الدين ومدي فهم لمدركاته كما بينا سابقاً.

الخاتمة :

بعد الانتهاء من دراسة رؤية تولستوي للدين نستطيع أن نقول: إن تولستوي قد شغله سؤال عام حاول الإجابة عليه في وقت متأخر من حياته، حيث ظل بحث تولستوي حول الحياة ودوره فيها هو الشغل الشاغل لدى تولستوي طوال فترة بحثه من الشك إلى الإيمان، كما مثل فكر تولستوي لحركة الإصلاح الديني جانبًا مهمًا في حياة الروس في الفترة الزمنية التي عاش فيها تولستوي، حيث مثل موقفه من الدين والكنيسة عامل جذب لدى كثير من قراء تولستوي ومخالطيه، كما مثل موقف الكنيسة من تولستوي عامل إثارة داخل المجتمع الروسي الذي انقسم بين داعم لتولستوي وبين مناهض لأفكاره، وقد مثلت رؤية تولستوي لمفهوم الدين جانب فكر مختلف في شخصية تولستوي، وهو الجانب الآخر المقابل لشخصية الأديب والروائي التي عرف بها تولستوي في أنحاء العالم، كما مثل إنجيل تولستوي هزة عميقة لوجدان الفكر العقدي داخل الكنيسة، كما مثل انفتاح تولستوي على الديانات الأخرى وإظهار جوانب السماحة والأخلاق داخلها –كما فعل مع الإسلام– جانبًا لا يمكن إغفاله في رؤية تولستوي للدين.

أهم النتائج :

١ مثلت حياة تولستوي الاجتماعية جانبًا مهمًا في حياة تولستوي الفكرية، فقد كان لقرب تولستوي من الطبقة العاملة، وطبقة الفلاحين جانبٌ مهمٌ في إدراك مفهوم الحياة الاجتماعية في فكر تولستوي.

٢ كان لرحلات تولستوي داخل المجتمع الأوربي دورٌ بارزٌ في تلقي تولستوي فلسفات وأفكار مختلفة، وساعده على تبني رؤىً وأفكار لفظها تولستوي بعد إدراكه لمضمون تلك الأفكار.

٣ كان لحالة النفور التي صاحبت تولستوي في مقتبل عمره من تعاليم الكنيسة بالغ الأثر في دراسة تولستوي لتلك التعاليم في وقت متأخر من حياته، ومحاولة الوقوف على أصل تلك التعاليم.

٤ أصاب تولستوي حالة من الشك المنهجي الذي ساعده على البحث عن المعرفة ودورها في الوصول إلى اليقين، ولعلها حالة الشك التي ترتاب كثير من المفكرين في فترة زمنية معينة من حياتهم.

٥ أدرك تولستوي أن العلم والفلسفة وجوانب المعرفة وقفت عاجزة أمام فهم الحياة وبيان دور الإنسان فيها.

٦ مثَّلت لحظة وقوف تولستوي مع نفسه ومحاولة إدراك ذاته نقطه مهمة خلقت حالة من التغير الناشئ عن المكاشفة التي مثلت أفضل لحظات الإنسان للنظر في فهمه وإدراكه لكافة أمور حياته.

٧ وصل تولستوي لمرحلة اليقين حينما أدرك أن الإيمان الناشئ عن الدين هو قارب النجاة الذي يستطيع من خلاله تجاوز شكّه والوصل إلى بر اليقين النفسي.

٨ كانت رؤية تولستوي للإيمان تفوق الرؤية الإيمانية التي حاولت الكنيسة فرضها على روادها من خلال تعاليم وطقوس كنسية رفضها تولستوي في وقت مبكر من عمره.

٩ كان لمخالطة تولستوي لمفكري المجتمع الأوروبي ومطالعته كتابات كبار الفلاسفة ورواد حركة الإصلاح الديني الأوربي دورٌ فعالٌ في رؤية تولستوي لحركة الإصلاح الديني داخل الكنيسة الروسية.

١٠ مثَّل رفض تولستوي لتعاليم الكنيسة، ورفضه المعتقدات الكنسية التي رأى فيها مخالفة للتعاليم الصحيحة التي جاء بها المسيح أولى خطوات تولستوي نحو الإصلاح الديني.

١١ اعتمد تولستوي في رؤيته الإصلاحية على نقده للكتاب المقدس، حيث أثبت تولستوي وجود التناقض في تعاليم الكنيسة، وأثبت وجود عدد كبير من النصوص التي تنسب إلى شراح العقيدة في الكنيسة، ومثلت تلك الخطوة جانبًا مهمًّا نحو رؤية تولستوي الإصلاحية.

١٢ آمن تولستوي بفكرة التوحيد الخالص البعيد عن فكرة التثليث التي تمثل صلب الاعتقاد في المسيحية، كما رفض فكرة ألوهية المسيح التي أثبت خطأها من خلال نصوص الأناجيل، وقد مثلت هذه الخطوة الضلع الثالث في رؤية تولستوي الإصلاحية.

١٣ حدد تولستوي مفهومه للدين، وتوصل لفكرة أن الدين هو من يستطيع رسم علاقة الإنسان بعالمه المحيط، وبيان أن الدين هو المرشد والموجه لكافة التعاملات الاجتماعية والأخلاقية للإنسان.

١٤ وضع تولستوي خلاصة رؤيته الإصلاحية في إنجيل عرف في الأوساط الروسية والأوربية بإنجيل تولستوي، وقد عمد تولستوي في هذا الإنجيل باستبعاد كافة النصوص التي وجد فيها ضعف السند والاتصال بالسيد المسيح، ولا تعبر عن روح دعوته التي جاء بها.

١٥ عرض تولستوي في إنجيله لبداية حياة المسيح، وعرض رواية خالف المتعارف عليه في كيفية الخلق الأول للسيد المسيح، وهذا خطأ وقع فيه تولستوي رغم انتقاده مثل هذا الفعل عند شراح التعاليم المسيحية.

١٦ تمتع تولستوي بنظرة انفتاحيه وروح دينية سمحة مكنته من دراسة تعاليم الأديان الأخرى غير المسيحية.

١٧ وجد الإسلام مكانة راقية في نفس تولستوي، حيث درس تعاليم الإسلام ووقف معها وقفة مطولة، حيث وجد من تفاسير الإسلام وتعالميه في مكتبة تولستوي.

١٨ درس تولستوي حياة النبي محمد– صلى الله عليه وسلم –،وتأثر بالتعاليم التي ألقاها النبي على المجتمع الإسلامي، وترجم هذا التأثر في كتاب قدَّم فيه لتعاليم الإسلام، واختار بعض الأحاديث للتعريف بدعوة النبي محمد.

١٩ وجد تولستوي في تعاليم الإسلام توافقًا مع أفكاره التي حاول جاهدًا نشرها داخل المجتمع الروسي، حيث تأثر بالجانب الأخلاقي والقيمي في تعاليم الإسلام.

٢٠ انتهي تولستوي لفكرته الدينية حول الأديان التي تعد نتاج بحوثه، وهي فكرة الأساس الواحد لكل الأديان العظيمة.

---

[١] (تولستوي): ليو: بدائع الخيال ، ترجمة: عبدالعزيز أمين الخانجي ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الأولى ٢٠١٤م) ص ١٢، (تولستوي) ليو: إنجيل تولستوي وديانته، ترجمة: سليم قبعين، (القاهرة – مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠ م) ص ١١

[٢] (تولستوي): بدائع الخيال: ص ١٢

[٣] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١١

[٤] (قبعين) سليم: مذهب تولستوي ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي): ص ١٣ ، (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٣

[٥] (تولستوي): بدائع الخيال: ص ١١ بتصرف ، (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١١ بتصرف

[٦] (تولستوي): بدائع الخيال: ص ١٣ ، (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١١ بتصرف

[٧] (قبعين): مذهب تولستوي: ص ١٤ بتصرف ، (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١١ بتصرف

[٨] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٢ بتصرف، (قبعين): مذهب تولستوي: ص ١٥ بتصرف

[٩] (تولستوي): بدائع الخيال: ص ١٤ بتصرف

[١٠] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٢ بتصرف

[١١] (قبعين): مذهب تولستوي: ص ١٦ بتصرف

[١٢] (تولستوي) ليو: حِكَم النبي محمد ، ترجمة: سليم قبعين ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م): ص ٢٣

[١٣١٣] الشك في تعريفه الفلسفي هو: التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشك وقيل أن الشك هو ما استوي طرفاه بين النقيضين دون أن يميل العقل إلى أحدهما . وهناك نوعان من الشك: الشك المذهبي والشك المنهجي والفرق بينهما أن الأول شكا حقيقيا مطلقا هداما، والشك فيه لغرض الشك، أما الشك المنهجي وهو خير وسيلة للوصول إلى اليقين والمعرفة الحقيقة . (رافع) سماح: تاريخ الفكر الفلسفي في العصور القديمة والحديثة ، (طرابلس ، مؤسسة الفرجاني للنشر ١٩٧١ م): ص ٢٣٤

[١٤] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي): ص ١١

[١٥] (تولستوي) اعترافات تولستوي: ص ١١

[١٦] ما نعنيه هنا هو الشك المنهجي الذي يعد وسيلة للوصول إلى اليقين

[١٧] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: الأرشمندريت أنطونيوس بشير، (بيروت – دار سؤال للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٥ م): ص ٩

[١٨] (تولستوي): اعترافات تولستوي: ص٩

[١٩] ولا نستبعد أن تكون حالة تصيب بعض الشباب في سن المراهقة، ومحاولة الخروج على كافة التعاليم وليست الدينية فقط

[٢٠] (تولستوي): اعترافات تولستوي: ص٩

[٢١] (تولستوي): اعترافات تولستوي: ص ١٠

[٢٢] (تولستوي): اعترافات تولستوي: ص ١٢

[٢٣] (تولستوي): اعترافات تولستوي: ص ١١

[٢٤] (تولستوي): اعترافات تولستوي: ص ١١

[٢٥] أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، ولد سنة (٤٥٠ هـ – ١٠٥٩ م) بمدينة " طوس " في " خرسان " ، وكان والده يشتغل بغزل الصوف، توفى وهو لا يزال صغير السن ، فوصى به مع اخيه " أحمد " صديقا له من المتصوفة، فرباهما على العبادة، والعلم، سافر الغزالي إلى " نيسابور" وتلقى علم الكلام على يد أحد كبار الصوفيين، وهو " إمام الحرمين " ، وهناك درس المذاهب واختلافها، وتعرف الغزالي بوزير الدولة السلوجية " نظام الدولة " الذي أسس في بغداد المدرسة النظامية، وعين الغزالي استاذا فيها سنة (٤٨٤ هـ – ١٠٩١ م) ونال هناك شهرة واسعة، من أهم مؤلفاته ، مقاصد الفلاسفة ، تهافت الفلاسفة ، المنقذ من الضلال، إحياء علوم الدين، معيار العمل ، ميزان العمل .. وردت ترجمة في مقدمة كتابه (الغزالي) أبو حامد: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: الدكتور جميل صليبا، دكتور كامل عياد (بيروت – دار الاندلس ، الطبعة السابعة ١٩٦٧ م)ص ٨–١٠

[٢٦] أول فيلسوف محدث وواحد من أعظم الرياضيين في الأزمان قاطبة، ولد في لاهاي عند التخم الفاصل بين تورين وبواتو، في ٣١ آذار ١٥٩٦ .كان أبوه يواكيم ديكارت ينتمي إلى نبالة أهل القضاء ، له مؤلفات المقال في المنهج ، مبادئ الفلسفة .. (طرابيشي) جورج: معجم الفلاسفة ، (بيروت ، دار الطليعة ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م) ص ٢٩٨ – ٣٠٤

[٢٧] (هويدي): يحي: مقدمة في الفلسفة العامة ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م): ص ٩٨ –١٠١

[٢٨] (ديكارت): مبادئ الفلسفة، ترجمة: عثمان أمين ، (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م) ص ٥٣

[٢٩] (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد: المنقذ من الضلال ، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود (دار الكتب الحديثة، مصر) ص ١١٠

[٣٠] (الغزالي): المنقذ من الضلال: ص ١٠٩

[٣١] (الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد: القسطاس المستقيم: تحقيق: الأب فيكتور شلحت (بيروت ١٩٥٩ م) ص ٧٩

[٣٢] (تولستوي): اعترافات: ص١٣

[٣٣] (رسل) برتراند: حكمة الغرب ، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي ، ترجمة: فؤاد زكريا: ج٢ ص ١٧

[٣٤] (تولستوي): الاعترافات: ص ١٣

[٣٥] أوراليوس أوغسطين أشهر أباء الكنيسة اللاتينية، ولد في طاجسطا بنوميديا في ١٣ تشرين الثاني ٣٥٤م مات في ايبوتا في ١٤ أب ٤٣٠م له محاورات فلسفية منها ردا على فلاسفة الاكاديمية ، في الحياة السعيدة ، في النظام ، مناجاة النفس . (طرابيشي): معجم الفلاسفة :ص ١١٧-١١٩

[36] Gerard, O Daly, Augustine,s Philosophy of mind, Duck Worth, London, 1987, p 162

[٣٧] (تولستوي): الاعترافات: ص١٣

[٣٨] المصدر السابق : ص ١٤

[٣٩] (المصدر السابق : ص١٤

[٤٠] (تولستوي): الاعترافات: ص١٤

[٤١] المصدر السابق : ص١٤

[٤٢] (بن مدان) إبراهيم: فلسفة الاعتراف عند تولستوي من خلال كتابه " اعتراف " (مركز العبيكان للأبحاث والنشر ، مجلة فكر عدد٢٦ ، ٢٠١٩م): ص ١٢٢

[٤٣] (تولستوي): الاعترافات: ص١٤

[٤٤] (المصدر السابق : ص١٥

[٤٥] المصدر السابق : ص١٥

[٤٦] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي سي اي اس): ص١٠

[٤٧] (تولستوي): الاعترافات: ص١٦

[٤٨] المصدر السابق : ص١٦-١٧

[٤٩] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي سي اي اس): ص١٠

[٥٠] (تولستوي): الاعترافات: ص١٧

[٥١] المصدر السابق : ص١٧

[٥٢] المصدر السابق : ص١٧

[٥٣] (تولستوي): الاعترافات: ص١٨

[٥٤] المصدر السابق : ص١٨

[٥٥] المصدر السابق : ص١٩

[٥٦] (تولستوي): الاعترافات: ص١٩

[٥٧] المصدر السابق : ص٢٢

[٥٨] عصر النهضة هو: " فترة الانتقال في أوربا من العصور الوسطي إلى العصور الحديثة واصطلح المؤرخون على تسميتها " Renassiance" بمعنى البعث الجديد " (البطريق ، نوار) عبدالحميد ، عبدالعزيز: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، (بيروت ، دار النهضة): ص ٣١

[٥٩] النزعة الإنسانية: هي حركة فكرية سادت في عصر النهضة وكانت تدعو إلى الاعتقاد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقليد وتتميز جهود في سبيل رفع كرامة الفكر البشري وجعله جدير ذات قيمة، وذلك بوصول الثقافة الحديثة بالقديمة (لالاند) أندريه: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: خليل أحمد خليل (بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ط ٢ ، ١٩٨٢م): ص ٥٥٦

[٦٠] (رسل): حكمة الغرب ، الفلسفة الحديثة والمعاصرة: ج٢ ص ١٧-١٨

[٦١] (تولستوي): الاعترافات: ص٢٢

[٦٢] المصدر السابق: ص٢٢-٢٣

[٦٣] المصدر السابق: ص٢٣

[٦٤] (تولستوي): الاعترافات: ص٢٣

[٦٥] المصدر السابق: ص٢٤

[٦٦] المصدر السابق: ص٢٧

[٦٧] المصدر السابق: ص٢٧

[٦٨] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي سي اي اس): ص١٠

[٦٩] المصدر السابق: ص١٠

[٧٠] (تولستوي): الاعترافات: ص٣١

[٧١] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود : ص١٠

[٧٢] (ديكارت) رينيه: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة: كمال الحاج (منشورات عويدات ط ٣ ، ١٩٨٣م)ص٦٩

[٧٣] وردت كلمة المعرفة مرادفة للعلم كما في لسان العرب قال ابن منظور " عرف: العرفان هو العلم " وعرفها الأصفهاني والجرجاني بقوله " المعرفة والعرفان، إدراك الشيء بتفكر وتدبر لأثره فهي أخص من العلم " و يقول صاحب التعريفات " العلم والمعرفة والإدراك عند الحكماء والفلاسفة معناها واحد إذ هي: حصول صورة الشيء في العقل " وأما نظرية المعرفة: فهي " دراسة منهجية منظمة لقضية العلم أو مسألة المعرفة بدراسة ماهية المعرفة وإمكانها وطبيعتها، وطرق الوصول إليها، وقيمتها وحدودها" انظر: (ابن منظور) محمد بن مكرم: لسان العرب (بيروت ، دار صادر ط ٦ ، ٢٠٠٨م) ج٩ ص١١٠، (الزبيدي) مرتضى أبوالفيض: تاج العروس من جواهر القاموس (بنغازي ، دار لبيا ، ط ١) ج١ ص٦١٢ ، (الجرجاني) على بن محمد: شرح المواقف ، تحقيق: عبدالرحمن عميرة (بيروت ، دار الجيل ط ١ ،١٩٩٧ م) ج١ ص ٧١ (هامش) ، (الجرجاني) محمد بن على: التعريفات ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٣م): المجلد الأول ص ١٥٥ ، (الكردي) راجح: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة (عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ط٢ ، ٢٠٠٣م): ج١ ص٦٣

[٧٤] (تولستوي): الاعترافات: ص٣٩

[٧٥] المصدر السابق : ص٤١

[٧٦] (الغزالي): معيار العلم في فن المنطق ، تقديم وتعليق: على بو ملحم (بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ط١٩٩٣،١م): ص ٣٤

[٧٧] (ديكارت) رينيه: مقال عن المنهج ، ترجمة محمود محمد الخضري (القاهرة ، المكتبة السلفية ، ١٩٣٠م) :ص٥٠ ، (الحاج) كمال يوسف: رنيه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة (منشورات مكتبة دار الحياة ١٩٥٤ م): ص٧٠

[٧٨] (تولستوي): الاعترافات: ص٤٢

[٧٩] المصدر السابق : ص٤٣

[٨٠] (تولستوي): الاعترافات: ص٤٧

[٨١] المصدر السابق : ص٤٩

[٨٢] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي سي اي اس): ص١١

[٨٣] (تولستوي): الاعترافات: ص٥١

[٨٤] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود: ص١١

[٨٥] (تولستوي): الاعترافات: ص٤٤

[٨٦] (بن مدان) إبراهيم: فلسفة الاعتراف عند تولستوي من خلال كتابه " اعتراف ":ص١٢٢

[٨٧] (تولستوي): الاعترافات: ص٤٤

[٨٨] المصدر السابق : ص٥٠

[٨٩] (تولستوي): الاعترافات: ص٦٢

[٩٠] المصدر السابق : ص٦٨

[٩١] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود : ص١٢

[٩٢] (تولستوي): الاعترافات: ص٧٩

[٩٣] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود: ص١٢

[٩٤] (تولستوي): الاعترافات: ص٨٠

[٩٥] (تولستوي) ليف: في الدين والعقل والفلسفة، ترجمة: يوسف نبيل،(القاهرة، أفاق للنشر ، الطبعة الأولى ٢٠١٨م):ص١٠

[٩٦] (تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود: ص١٠

[٩٧] (تولستوي): الاعترافات: ص٨٠

[٩٨] المصدر السابق : ص٨٠

[٩٩] لم يستخدم مصطلح الإصلاح الديني داخل أوساط الفكر الأوربية قبل مارتن لوثر حيث استُخْدِمَ مصطلحُ" الإصلاح الديني " في القارة الأوروبية، عندما بعث" مارتن لوثر "خطاباً إلى" الدوق جورج طالب فيه بالإصلاح الديني بقوله: "يجب القيام بإصلاحٍ دينيٍ عامٍ للطبقات الروحية والزمنية ."وقد علَّق المؤرِّخُ" ول ديورانت "على ذلك بقوله" :وقد أضفت هذه الكلمة على ثورة لوثر اسمها التاريخي" (ديورانت) ول. قصة الحضارة، ، ترجمة عبد الحميد يونس، (طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية): الكتاب ١٤، ص ٣٥٢، الكتاب ٢٣، ص ٢٠

[١٠٠] (حوامدة) أريج: حركة نقد الكتاب المقدس في أوربا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منه (الأردن – إربد ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠٢٠م): ص ٢٠

[١٠١] (حاطوم) نور الدين: تاريخ عصر النهضة الأوربية (دمشق – دار الفكر ، تصوير١٩٨٥م على طبعة ١٩٦٨ م) ص ١٥٨

[١٠٢] (حاطوم): تاريخ عصر النهضة الأوربية: ص١٥٨

[١٠٣] (حاطوم): تاريخ عصر النهضة الأوربية: ص ١٥٨ – ١٥٩

[١٠٤] عصر النهضة هو: " فترة الانتقال في أوربا من العصور الوسطي إلى العصور الحديثة واصطلح المؤرخون على تسميتها " Renassiance" بمعنى البعث الجديد " (البطريق ، نوار): التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا: ص ٣١

[١٠٥] النزعة الإنسانية: هي حركة فكرية سادت في عصر النهضة وكانت تدعو إلى الاعتقاد بالفكر الإنساني ومقاومة الجمود والتقليد وتتميز جهود في سبيل رفع كرامة الفكر البشري وجعله جدير ذات قيمة، وذلك بوصول الثقافة الحديثة بالقديمة (لالاند): الموسوعة الفلسفية: ص ٥٥٦

[١٠٦] (رسل) برتراند: حكمة الغرب ، ترجمة: فؤاد زكريا (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٧٣ م): ج ٢ ص ١٦

[١٠٧] (صالح) هاشم: مدخل إلى التنوير الأوربي (بيروت – دار الطليعة ، ط ١ ٢٠٠٥م): ص٧٧

[١٠٨] (كوحيل) زينب: الإصلاح الديني وعلاقته بالسياسة (الجزائر ، جامعة قاصدي مرباح – ورقله ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠١٦ م): ص ٢٣

[١٠٩] (بريتون) كرين: تشكيل العقل الحديث ، ترجمة: شوقي جلال (الكويت ، سلسلة دار المعارف ١٩٨٤ م): ص ٥٧

[١١٠] مارتن لوثر (١٤٨٣ – ١٥٤٦) ولد مارتن لوثر في ١٠ تشرين الثاني سنة ١٤٨٣ في ابشلين في اقليم ساكس، بألمانيا، في المنطقة العليا المشجرة التي تمتد من هاتر إلى تورنجه .. دخل لوثر الدين خوفا من قضاء الله وظن أنه يستطيع أن يعيش براحة في أداء واجباته الدينية .. وقد قرأ لوثر آية في رسالة القديس بولس إلى أهل أرمية وهي " البار بالإيمان يحيا " فاطمأن وبني مذهبه: " السلام بالإيمان وحده لا بالأعمال" هذا المذهب الذي هو اساس العقائد عند جميع الكنائس البروتستانيه وفي العام ١٥١٥ – ١٥١٦ أخذ يوسع هذه الرسالة أمام تلاميذه ويعرض أفكاره الأساسية. (حاطوم): تاريخ عصر النهضة الأوربية: ص ١٦٢ – ١٦٤

[١١١] الغفران في الأصل هو افتداء المؤمن ذنبه بالصوم أو الامتناع عن بعض الأكل، أو هو العفو الذي تمنحه الكنيسة للمؤمنين للتكفير عن ذنوبهم . (حاطوم): تاريخ عصر النهضة الأوربية: ص١٦٤

[١١٢] فلوثر يرى أن الغيمان يأتي في المقام الأول قبل الأعمال، باعتباره طريق الإنسان الوحيد للخلاص، ولا يمكن التخلص من الخطايا ولكن الصلاة والزكاة والصوم هي وسائل يتقرب بها الإنسان إلى خالقه . (نوار ، جمال الدين) عبدالعزيز ، محمود محمد: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى (دط، مدينة نصرا ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٩م): ص٣٦

[١١٣] الكنيسة الكاثوليكية: مأخوذ من لفظ اليونان " Catholicos " وتعني العالمي وتعد أكبر تجمع مسيحي في العالم حيث يقدر أتباعها بقرابة مليار مسيحي في العالم، حيث استعمل لفظ كاثوليك لأول مرة من قبل القديس أوغسطين عام ١١٠ م، ثم استعملها اللاهوتي "كلمنت الإسكندراني " (١٥٠ – ٢١٥ م) وهو أحد الآباء الكبار للكنيسة الكاثوليكية . (عبد على) أكرم: تاريخ أوربا الحديث (عمان ، دار الفكر ، ط١ ٢٠١٠م) ص ٣٦

[١١٤] (حاطوم): تاريخ عصر النهضة الأوربية: ص ١٦٥

[١١٥] المرجع السابق: ص ١٦٥

[١١٦] (البطريق ، نوار): التاريخ الأوربي الحديث: ص ١٧ – ١٨

[١١٧] ارازموس: قسيس وفيلسوف هولندي من أهم رواد الحركة الإنسانية في أوربا (١٤٦٦ – ١٥٣٦)

[١١٨] (صالح) :مدخل إلى التنوير الأوربي: ص ١١٥

[١١٩] (صالح): مدخل إلى التنوير الأوربي: ص ١١٩

[١٢٠] (البطريق ونوار): التاريخ الأوربي الحديث :ص ٨٩

[١٢١] ويقصد به تلك الفترة الزمنية المؤرخ لها القرنين (السابع عشر والثامن عشر)

[١٢٢] (صالح): مدخل الى التنوير الأوربي: ص١٤٩

[١٢٣] (تولستوي) ليو: إنجيل تولستوي وديانته، ترجمة: سليم قابعين (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي ٢٠٢٠م): ص١٥

[١٢٤] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٥

[١٢٥] المصدر السابق : ص ١٦

[١٢٦] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٦

[١٢٧] (تولستوي) ليف: ملكوت الله في داخلكم، ترجمة: هفال يوسف (دمشق ، معابر للنشر ، ط١، ٢٠١٠): ص٥٠

[١٢٨] (تولستوي): ملكوت الله في داخلكم: ص ٥٢

[١٢٩] (زفايج) ستيفان: تولستوي، ترجمة: فؤاد أيوب (دار اليقضة العربية للتأليف والنشر ، سلسلة عيون الأدب العربي ٣): ص١٠٦

[١٣٠] (تولستوي): ملكوت الله في داخلكم: ص٥٣

[١٣١] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٧

[١٣٢] حيث قدمت الكنيسة الروسية في القرن التاسع عشر عددا من الزعماء البارزين الذين مارسوا نفوذا كبيرا على الأفراد سواء في الطبقات العليا أم الدنيا خلال نقائهم الأخلاقي. (سعدي ، عدنان) إيناس ، أسامه: تاريخ روسيا الديني من الوثنية إلى المسيحية (اشوربانيبال – الطبعة الأولى ٢٠١٩م): ص١٢٠

[١٣٣] (تولستوي) ملكوت الله في داخلكم: ص ٤٨

[١٣٤] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ١٨

[١٣٥] (تولستوي) ملكوت الله في داخلكم: ص٥٣

[١٣٦] المصدر السابق: ص٥٤

[١٣٧] (حوامدة): حركة نقد الكتاب المقدس في أوربا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منه: ص٣

[١٣٨] (تولستوي): انجيل تولستوي وديانته: ص١٨

[١٣٩] المصدر السابق : ص ١٩

[١٤٠] (عبدالتواب) د/سيد: النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة ،(دار الطباعة المحمدية ١٩٨٢م): ص٢٠٩

[١٤١] (المسيري) عبدالوهاب: اليهود واليهودية والصهيونية (دار الشروق ، ١٩٦٨م): ٥/١٠١-١٠٢

[١٤٢] ابن حزم (٣٨٤ – ٤٥٦ هـ = ٩٩٤ – ١٠٦٤ م) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام. كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية ". ولد بقرطبة. أشهر مصنفاته " الفصل في الملل والأهواء والنحل " وله "المحلى "و "جمهرة الأنساب و "الناسخ والمنسوخ وغيرها .(الزركلى) خير الدين بن محمود: الأعلام (دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢ م): ٤/٢٥٤

ص٢٥٤ –كتاب الأعلام للزركلي – ابن حزم – المكتبة الشاملة الحديثة

[١٤٣] (ابن حزم) على بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد نصر (بيروت – دار الجيل ، ط٢ ١٩٩٦م):١/٣٦٠

[١٤٤] فيلسوف هولندي ، ولد سنة ١٦٣٢م وطرد من مجمع اليهود بأمستردام على يد الجالية اليهودية، له مؤلفات منها، البحث اللاهوتي السياسي ، ورساله في اللاهوت والسياسة (يودين) روزينتال: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم (بيروت – دار الطليعة، الطبعة الثانية ١٩٨٠م): ص٢٤٢

[١٤٥] فيلسوف انجليزي شهير وعالم رياضيات (١٥٨٨-١٦٧٩)

[١٤٦] كاتب فرنسي، وفيلسوف ومؤرخ، ويعد أحد رجال حركة التنوير الفرنسية، ولد سنة ١٦٩٤م وتلقي تعليمه داخل الكلية اليسوعية وتوفي ١٧٧٨م (يودين): الموسوعة الفلسفية: ص٣٥٧-٣٥٨

[١٤٧] (ديورانت): قصة الحضارة: المجلد ٣٤.ص٢٠

[١٤٨] (تولستوي): انجيل تولستوي وديانته: ص١٩

[١٤٩] (حوامده): حركة نقد الكتاب المقدس في أوربا: ص ٩٢

[١٥٠] (سترومبرج) رونالد: تاريخ الفكر الأوربي الحديث ، ترجمة: أحمد الشيباني (القاهرة ، دار القارئ العربي ، ط ٣، ١٩٩٤م): ص١٧٢

[١٥١] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص١٩

[١٥٢] المصدر السابق: ص ١٩

[١٥٣] بولتمان (١٨٨٤ -١٩٧٦) لاهوتي بروتستانتي ومؤرخ للمسيحية في بدايتها وصاحب منهج في التأويل من كتابته تاريخ المنقول المتعلق بالاناجيل الثلاثة الأولى ، العهد الجديد والأساطير وقد انتهي إلى نتائج بالغة الأثر في تعديل النظرة إلى الأصول المكتوبة للمسيحية في بدايتها. (بدوي) عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م):١/٢٧٨

[154] R. Bultmann: Le christianisme Primititf dans le cadre des relaions antiques traduit par pierre jundt, paris, p 13

[١٥٥] ويقصد به النقد الذي يدرس عمل المنقحين أو المحررين والكتبة الذين جمعوا النصوص (حوامده): حركة نقد الكتاب المقدس في أوربا :ص١٢٩

[١٥٦] وهو استاذ العهد الجديد في جامعة وستفاليا (١٩١٩-١٩٩٣) وهي شمال الراين-وستفاليا أو شمال الراين – فستفالن هي إحدى ولايات ألمانيا الست عشرة.

[١٥٧] (ميلر ، وهوبر) ستيفن ، روبرت: تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين، ترجمة: وليم وهبه (القاهرة ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م): ص ٢١٢-٢١٣

[١٥٨] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته :: ص٢٠

[١٥٩] المصدر السابق: ص٢٠

[١٦٠] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص٣٠

[١٦١] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص٢١

[١٦٢] (عبدالرازق): أحمد محمد: بعض عوامل نقد الكتاب المقدس ،(جامعة القاهرة، مجلة كلية دار العلوم ، ٢٠٠٧): ص٤٤

[١٦٣] (تولستوي): انجيل تولستوي وديانته: ص ٢٢

[١٦٤] المصدر السابق: ص ٢٢

[١٦٥] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ٣٢

[١٦٦] هو باحث دومينيكاني مختص بدراسة اللاهوت وعلوم الكتاب المقدس ولد سنة ١٩١٦م وهو أستاذ العهد الجديد بالقدس، وتولى التدريس بجامعة فراي بورغ في سويسرا ثم بعدها عاد إلى مدرسة القدس

[167] Marie- Emile Boismard: A L aube du christianisme, avant la naissance des dogmes, edit du carf, paris, 1999, p 7

[١٦٨] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص٣٢

[١٦٩] (جنيبر) شارل: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبدالحليم محمود (بيروت – المكتبة العصرية) ص ١٢٠- ١٢١

[١٧٠] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ٢٤

[١٧١] متي: ص٥ عدد ١٦

[١٧٢] منها: متي: إصحاح ٥ عدد٤٥ و لوقا: ص٦ عدد٣٦ و متي: ص ٦ عدد١ و متي ص ٥ عدد ٤٨ ....

[١٧٣] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ٢٥

[١٧٤] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص٢٥

[175]McLean, H. (2008). In quest of Tolstoy. Academic Studies Press.p 120

[١٧٦] مكسيم جوركي – متحدثا عن تولستوي- في رسالة إلى تشيخوف كانون الثاني ١٩٠٠م . (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة :ص ٧

[١٧٧] (قبعين) سليم: مذهب تولستوي (القاهرة ، مؤسسة هنداوي للنشر): ص٤١

[١٧٨] (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة: ص٢٠

[١٧٩] (تولستوي): (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة: ص٢٢

[١٨٠] (إلياد) مرسيا: البحث عن التاريخ والمعنى – في الدين ، ترجمة: سعود المولى (المنظمة العربية للترجمة ،٢٠٠٩م): ص٦٥

[١٨١] (صليبا) جميل: المعجم الفلسفي ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،١٩٧٨م) المجلد الاول: مادة الدين :ص٥٧٢

[١٨٢] (صليبا): المعجم الفلسفي: ٥٧٢/١

[١٨٣] المرجع السابق: ٥٧٣/١

[١٨٤] (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة: ص٢٢

[١٨٥] (ستيس): وولتر : الزمن والأزل – مقال في فلسفة الدين ، ترجمة: د زكريا إبراهيم،(القاهرة – منشورات مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣م): ص٣٩-٤٢

[١٨٦] (سبينوزا): باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة: حسن حنفي (بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م): ص١١٩

[١٨٧] إيمانويل كانط (١٧٢٤-١٨٠٤) ولد بمدينة كينج سبريج في روسيا ودرس في جامعتها عام ١٧٤٠، وتحصل على درجة الماجستير سنة ١٧٥٥م وعين مدرس في الجامعة ، ودرس المنطق والقانون الطبيعي والميتافيزيقا (بدوي) عبدالرحمن: الموسوعة الفلسفية (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م) ص ٢٦٩-٢٧٠

[١٨٨] (كانط) إيمانويل: الدين في حدود مجرد العقل (بيروت ، جداول النشر والتوزيع): ص٢٤٣

[١٨٩] ماكس موللر ولد في ٦ ديسمبر ١٨٢٣م وتوفي في ٢٨ اكتوبر ١٩٠٠م. كام مستشرقا بريطانيا وعالما لغويا. (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة: هامش ص٢٣

[١٩٠] (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة:ص٢٢-٢٣

[١٩١](الواعظي) أحمد: الدولة الدينية – تأملات في الفكر السياسي الإسلامي (بيروت – مؤسسة الغدير، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م): ص ٢٦

[١٩٢] (شامة) محمد: الإسلام كما ينغي أن نعرفه (القاهرة ، دار التوفيق ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م): ص١٣

[١٩٣] (دراز) محمد عبدالله: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (الكويت ، دار القلم ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م): ص٥٢

[١٩٤] (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة: ص ٢٥-٢٦

[١٩٥] المصدر السابق: ص ٢٦-٢٧

[١٩٦] المصدر السابق: ٣٥

[١٩٧] (تولستوي): في الدين والعقل والفلسفة: ص ٣٩

[١٩٨] يشغل انجيل متى المكانة الأولى بين الأناجيل الأربعة، في ترتيب كتب العهد الجديد، يبدأ هذا الإنجيل بنسب المسيح ويرجعه إلى إبراهيم بواسطة داود (بوكاي) موريس: التوراة والإنجيل والقران والعلم ، ترجمة: الشيخ حسن خالد (بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ -١٩٩٠م):ص٨٠.

[١٩٩] انه أقصر الأناجيل الأربعة وأربعة وأقدمها، ولكنه ليس كتاب رسول، وكل ما فيه أنه كتاب محرر من تلميذ رسول.(بوكاي): التوراة والإنجيل والقران: ص ٨٤

[٢٠٠] لا خلاف أن انجيل لوقا عمل أدبي مكتوب باليونانية الكلاسيكية التي لا لحن فيها ولا أخطاء. لقد كان لوقا أديبا وثنيا اهتدي إلى المسيحة. المرجع السابق: ص٨٧-٨٨

[٢٠١] يختلف انجيل يوحنا في الأصل عن الثلاثة الاخر، إلى درجة أن الاب روغيه قال عنه في كتابه " مدخل إلى الإنجيل " بعد شرح الثلاثة الأوائل ، وبعبارة جامعة معبرة:" إنه عالم أخر" انه في الحقيقة كتاب فريد جدا، اختلف في النظام العام، في اختيار الموضوعات والأخبار والخطب اختلاف في الأسلوب، في الجغرافيا والتاريخ، بل واختلاف في الرؤى اللاهوتية. المرجع السابق:ص٩٠

[٢٠٢] (قبعين) سليم : مذهب تولستوي (القاهرة ، مؤسسة هنداوي): ص ٣٣

[٢٠٣] (قبعين): مذهب تولستوي: ص ٣٤

[٢٠٤] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص٢٧

[٢٠٥] (بوكاي): التوراة والإنجيل والقران والعلم: ٧٦

[٢٠٦] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص٢٧

[207]McLean, H. (2008). In quest of Tolstoy. Academic Studies Press.p 118

[٢٠٨] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته :٢٧

[209]McLean, H. (2008). In quest of Tolstoy. Academic Studies Press.p 118

[٢١٠] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ٣٩ وما بعدها

[٢١١] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ٢٨

[٢١٢] مرقص(١/١)

[٢١٣] يوحنا: (٣١/٢٠)

[٢١٤] يوحنا: (١/١٠،٦،٥،٤،٣،٢،١)

[٢١٥] الحجرات: ٢٩

[٢١٦] (القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م): (٢٤/١٠)

[٢١٧] (تولستوي): إنجيل تولستوي وديانته: ص ٣٩

[٢١٨] متى: (١٨/١)

[٢١٩] متي: (١٩/١)

[٢٢٠] الأنبياء: ٩١

[٢٢١] مريم: ٢٠-٢٢

[٢٢٢] (الغمري) د مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: (عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، نوفمبر ١٩٩١م): ص١٦٣

[٢٢٣] (تولستوي) ليو: المؤلفات الكاملة: (موسكو – – طبعة ١٩٨٣م): جـ ١٦ ، ص١٢١

[٢٢٤] (الغمري): مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: ص ١٦٦

[٢٢٥] (عارف) د مجيد حمد: الاستشراق الروسي والاثنوغرافيا (مجلة الاستشراق ، دار الثقافة العامة – آفاق عربية العدد الثالث – ١٩٨٩ م)ص١٣٠

[٢٢٦] (كراتشوفسكي) اغناطيويس : تاريخ الأستشراق في الإتحاد السوفيتي ، ترجمة: آنا دولينا (سلسلة كتب الثقافة المقارنة ، العدد٢ ، شباط ١٩٨٧ م) ص ٥٦

[٢٢٧] (القزاز) محمد عبده: أثر شخصية الرسول الأعظم في الاستشراق الروسي (جامعة الكوفة ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، عدد ٢٥ ،٢٠١٢م): مجلد ٧: ص ٥٠

[٢٢٨] (الغمري): مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: ص ١٦٤

[٢٢٩] المرجع السابق: ص ١٦٦

[٢٣٠] (تولستوي) ليو: حكم النبي محمد ، ترجمة: سليم قبعين ، (مؤسسة هنداوي ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م): ص ١١

[٢٣١] مقدمة سليم قبعين، لكتاب: حكم النبي محمد: ص٧

[٢٣٢] (بنفيزير) جولد: بالقرب من تولستوي (موسكو ١٩٥٩ م): ص ٣٢٠

[٢٣٣] (تولستوي): حكم النبي محمد: ص ١٢

[٢٣٤] (ينشور) زايد: كيف كان تولستوي يبحث عن كتب لقراءة الأطفال(مجلة الأدب في المدرسة ، موسكو، مايو ١٩٧٦م): ص٦٧

[٢٣٥] (الغمري): مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: ص ١٦٩

٢٣٦ حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الخَطْمِيِّ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ

فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ» أخرجه الترمذي في سننه ت شاكر (٥/ ٥٢٣)(٣٤٩١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ٧٦)(٢٩٥٩٢) كلاهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الخَطْمِيِّ الأَنْصَارِيِّ، به، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ» وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ١٦٥)

٢٣٧ حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ» أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب" المظالم والغصب"، باب" أعن أخاك ظالما أو مظلومًا"(٣/ ١٢٨)(٢٤٤٤) من حديث مُعْتَمِرٍ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به

٢٣٨ حديث أبي هريرة قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ". هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَيُرْوَى عَنِ الْأَعْمَشِ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْحَدِيثِ: «مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، يَعْنِي بِالمغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ» أخرجه الترمذي في سننه ت شاكر، باب "ما جاء إن لله ملائكة سياحين في الأرض" (٥/٥٨١)(٣٦٠٣) عَنْ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، به، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ١٩٥)

٢٣٩ حديث أبي سعيد الخدري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَتَوَفَّنِي مِسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ، وَإِنَّ أَشْقَى الأَشْقِيَاءِ مَنِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ فَقْرُ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ» هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ " أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب" الرقاق" (٤/ ٣٥٨)(٧٩١١) عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، به، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ١٦٥)

٢٤٠ حديث أنس عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، باب:" من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(١/ ١٢)(١٣)، ومسلم في صحيحه، باب" الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير" (١/ ٦٧) ٧١ - (٤٥) كلاهما عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

٢٤١ حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب " الجنة وصفة نعيمها وأهلها" (٤/ ٢١٧٤)١-(٢٨٢٢) عَنْ ثَابِتٍ، وَحُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، به.

٢٤٢ حديث النعمان بن بشير، قال: "الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ: كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ" متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، باب "فضل من استبرأ لدينه" (١/ ٢٠)(٥٢) عن النعمان بن بشير، به

[٢٤٣] (تولستوي): حكم النبي محمد: ص ١٨ -٢١

[٢٤٤] (تولستوي): المؤلفات الكاملة: ج٤١ ، ص١٤

[٢٤٥] المصدر السابق: ص١٤

المصادر والمراجع

أولا: كتب تولستوي :

(تولستوي): ليو: بدائع الخيال ، ترجمة: عبدالعزيز أمين الخانجي ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، الطبعة الاولى ٢٠١٤م)

(تولستوي) ليف: في الدين والعقل والفلسفة، ترجمة: يوسف نبيل،(القاهرة، أفاق للنشر ، الطبعة الأولى ٢٠١٨م)

(تولستوي) ليف: ملكوت الله في داخلكم، ترجمة: هفال يوسف (دمشق ، معابر للنشر ، ط١، ٢٠١٠)

(تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: الأرشمندريت أنطونيوس بشير، (بيروت – دار سؤال للنشر، الطبعة الأولى ٢٠١٥ م

(تولستوي) ليو: اعترافات تولستوي ، ترجمة: محمود محمود (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي سي اي اس)

(تولستوي) ليو: المؤلفات الكاملة: (موسكو – – طبعة ١٩٨٣م)

(تولستوي) ليو: إنجيل تولستوي وديانته، ترجمة: سليم قابعين (المملكة المتحدة ، مؤسسة هنداوي ٢٠٢٠م

(تولستوي) ليو: حِكَم النبي محمد ، ترجمة: سليم قبعين ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م

(تولستوي) ليو: حكم النبي محمد ، ترجمة: سليم قبعين ، (مؤسسة هنداوي ، الطبعة الأولى ٢٠١٤م)

(تولستوي) ليو: إنجيل تولستوي وديانته، ترجمة: سليم قبعين، (القاهرة – مؤسسة هنداوي، ٢٠٢٠م)

ثانيا: المراجع العربية والمترجمة :

(ابن حزم) على بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد نصر (بيروت – دار الجيل ، ط٢ ١٩٩٦م)

(ابن منظور) محمد بن مكرم: لسان العرب (بيروت ، دار صادر ط ٦ ، ٢٠٠٨م)

(البطريق ، نوار) عبدالحميد ، عبدالعزيز: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا ، (بيروت ، دار النهضة)

(الجرجاني) محمد بن على: التعريفات ،(بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٣م

(الكردي) راجح: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة (عمان ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ط٢ ، ٢٠٠٣م

(الجرجاني) على بن محمد: شرح المواقف ، تحقيق: عبدالرحمن عميرة (بيروت ، دار الجيل ط ١ ،١٩٩٧ م)

(الزبيدي) مرتضى أبو الفيض: تاج العروس من جواهر القاموس (بنغازي ، دار لبيا ، ط ١)

(الزركلى) خير الدين بن محمود: الأعلام (دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر – ٢٠٠٢م)

(الغزالي): معيار العلم في فن المنطق ، تقديم وتعليق: على بو ملحم (بيروت ، دار ومكتبة الهلال ، ط١٩٩٣،١م)

(الغزالي) أبو حامد: المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تحقيق: الدكتور جميل صليبا، دكتور كامل عياد (بيروت – دار الاندلس ، الطبعة السابعة ١٩٦٧ م)

(الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد: القسطاس المستقيم: تحقيق: الأب فيكتور شلحت (بيروت ١٩٥٩ م)

(الغزالي) أبو حامد محمد بن محمد: المنقذ من الضلال ، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود (دار الكتب الحديثة، مصر)

(الغمري) د مكارم: مؤثرات عربية وإسلامية في الأدب الروسي: (عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، نوفمبر ١٩٩١م)

(القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م)

(القزاز) محمد عبده: أثر شخصية الرسول الأعظم في الاستشراق الروسي (جامعة الكوفة ، مجلة مركز دراسات الكوفة ، عدد ٢٥ ،٢٠١٢م)

(المسيري) عبدالوهاب: اليهود واليهودية والصهيونية (دار الشروق ، ١٩٦٨م

(الواعظي) أحمد: الدولة الدينية — تأملات في الفكر السياسي الإسلامي (بيروت – مؤسسة الغدير، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م)

(إلياد) مرسيا: البحث عن التاريخ والمعنى — في الدين ، ترجمة: سعود المولى (المنظمة العربية للترجمة ،٢٠٠٩م)

(بدوي) عبدالرحمن: الموسوعة الفلسفية (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٤م)

(بدوي) عبدالرحمن: موسوعة الفلسفة (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨٤م)

(بريتون) كرين: تشكيل العقل الحديث ، ترجمة: شوقي جلال (الكويت ، سلسلة دار المعارف ١٩٨٤ م)

(بن مدان) إبراهيم: فلسفة الاعتراف عند تولستوي من خلال كتابه " اعتراف " (مركز العبيكان للأبحاث والنشر ، مجلة فكر عدد٢٦ ، ٢٠١٩م)

(بنفيزير) جولد: بالقرب من تولستوي (موسكو ١٩٥٩ م)

(بوكاي) موريس: التوراة والإنجيل والقران والعلم ، ترجمة: الشيخ حسن خالد (بيروت ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ -١٩٩٠م).

(جنيبر) شارل: المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبدالحليم محمود (بيروت — المكتبة العصرية)

(حاطوم) نور الدين: تاريخ عصر النهضة الأوربية (دمشق – دار الفكر ، تصوير١٩٨٥م على طبعة ١٩٦٨ م)

(حوامدة) أريج: حركة نقد الكتاب المقدس في أوربا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منه (الأردن — إربد ، عالم الكتب الحديث ، ٢٠٢٠م): ص ٢٠

(دراز) محمد عبدالله: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان (الكويت ، دار القلم ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م)

(ديكارت): مبادئ الفلسفة، ترجمة: عثمان أمين ، (القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٩٣ م)

(ديكارت) رينيه: تأملات ميتافيزيقية في الفلسفة الأولى، ترجمة: كمال الحاج (منشورات عويدات ط ٣ ، ١٩٨٣م)

(ديكارت) رينيه: مقال عن المنهج ، ترجمة محمود محمد الخضري (القاهرة ، المكتبة السلفية ، ١٩٣٠م)

(ديورانت) ول. قصة الحضارة، ، ترجمة عبد الحميد يونس، (طبعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية[٢٤٥])

(رافع) سماح: تاريخ الفكر الفلسفي في العصور القديمة والحديثة ، (طرابلس ، مؤسسة الفرجاني للنشر ١٩٧١ م)

(رسل) برتراند: حكمة الغرب ، ترجمة: فؤاد زكريا (الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٩٧٣ م)

(رسل) برتراند: حكمة الغرب ، عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي والسياسي ، ترجمة: فؤاد زكريا:

(زفايج) ستيفان: تولستوي، ترجمة: فؤاد أيوب (دار اليقضة العربية للتأليف والنشر ، سلسلة عيون الأدب العربي ٣)

(سبينوزا): باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة: حسن حنفي (بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م

(سترومبرج) رونالد: تاريخ الفكر الأوربي الحديث ، ترجمة: أحمد الشيباني (القاهرة ، دار القارئ العربي ، ط ٣، ١٩٩٤م)

(ستيس): وولتر : الزمن والأزل – مقال في فلسفة الدين ، ترجمة: د زكريا إبراهيم،(القاهرة – منشورات مكتبة الأسرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠١٣م)

(سعدي ، عدنان) إيناس ، أسامه: تاريخ روسيا الديني من الوثنية إلى المسيحية (اشوربانيبال، الطبعة الأولى ٢٠١٩م)

(شامة) محمد: الإسلام كما ينغي أن نعرفه (القاهرة ، دار التوفيق ، الطبعة الأولى ١٩٨٣ م)

(صالح) هاشم: مدخل إلى التنوير الأوربي (بيروت – دار الطليعة ، ط ١ ٢٠٠٥م)

(صليبا) جميل: المعجم الفلسفي ، (بيروت ، دار الكتاب اللبناني ،١٩٧٨م)

(طرابيشي) جورج: معجم الفلاسفة ، (بيروت ، دار الطليعة ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٦ م)

(عارف) د مجيد حمد: الاستشراق الروسي والاثنوغرافيا (مجلة الاستشراق ، دار الثقافة العامة – آفاق عربية العدد الثالث – ١٩٨٩ م)

(عبد على) أكرم: تاريخ أوربا الحديث (عمان ، دار الفكر ، ط١ ٢٠١٠م)

(عبدالتواب) د/سيد: النصوص المقدسة في الأديان الثلاثة ،(دار الطباعة المحمدية ١٩٨٢م)

(عبدالرازق): أحمد محمد: بعض عوامل نقد الكتاب المقدس ،(جامعة القاهرة، مجلة كلية دار العلوم ، ٢٠٠٧

(قبعين) سليم: مذهب تولستوي ، (القاهرة – مؤسسة هنداوي)

(كانط) إيمانويل: الدين في حدود مجرد العقل (بيروت ، جداول النشر والتوزيع)

(كراتشوفسكي) اغناطيويس : تاريخ الأستشراق في الإتحاد السوفيتي ، ترجمة: آنا دولينا (سلسلة كتب الثقافة المقارنة ، العدد٢ ، شباط ١٩٨٧ م)

(كوحيل) زينب: الإصلاح الديني وعلاقته بالسياسة (الجزائر ، جامعة قاصدي مرباح – ورقله ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ٢٠١٦ م)

(لالاند) أندريه: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: خليل أحمد خليل (بيروت ، دار الكتاب اللبناني، ط ٢ ، ١٩٨٢م)

(ميلر ، وهوبر) ستيفن ، روبرت: تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين، ترجمة: وليم وهبه (القاهرة ، دار الثقافة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م)

(نوار ، جمال الدين) عبدالعزيز ، محمود محمد: التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى (دط، مدينة نصرا ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٩م)

(هويدي): يحي: مقدمة في الفلسفة العامة ، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٥م)

(ينشور) زايد: كيف كان تولستوي يبحث عن كتب لقراءة الأطفال(مجلة الأدب في المدرسة ، موسكو، مايو ١٩٧٦م)

(يودين) روزينتال: الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم (بيروت – دار الطليعة، الطبعة الثانية ١٩٨٠م

(الحاج) كمال يوسف: رنيه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة (منشورات مكتبة دار الحياة ١٩٥٤ م)

المراجع الأجنبية :

Gerard, O Daly, Augustine,s Philosophy of mind, Duck Worth, London, 1987

R. Bultmann: Le christianisme Primititf dans le cadre des relaions antiques traduit par pierre jundt, paris

Marie- Emile Boismard: A L aube du christianisme, avant la naissance des dogmes, edit du carf, paris, 1999

McLean, H. (2008). In quest of Tolstoy. Academic Studies Press.